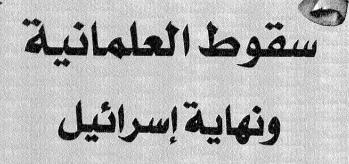
inverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version



الأستاذ/محمد شهدي





سقوط العلمانية ونهاية إسرائيل



إلك شباب الصحوة

سقوط العلمانية ونهاية إسرائيل

محمدشهدى



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْوِكُونَ . يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣ ، ٣٣] .



إهداء

إلى الزوجة الغالية: أم مسلم

رمز الوفاء والإخلاص

إلى فلذات الأكباد:

مسلم ، عمر ، بلال



المقدمة

العلمانية مذهب في الحكم والسياسة والأخلاق، وإن شئت فقل: هي دين جديد اعتنقته أوروبا بديلاً عن النصرانية يجعل الحياة قسمين: قسم لله، وهـو المتمثل في بعض الشعائر التعبدية في الكنيسـة وبعـض مظـاهر الأحـوال الشخصية، والقسم الآخر لقيصر يحكم فيه بما يشاء في السياسـة والحكـم والأخلاق والاقتصاد والدماء والأعراض والتعليم وكل شؤون الحياة الأخرى عما يراه أو بما يوافق هواه .

فإذا كان الدين يفرض على الحاكم الصدق والأمانة والعدل، فإن العلمانية تقول: إن السياسي الحق هو ذلك الذي يستطيع الوصول إلى أهدافه بشيق الطرق والوسائل، وأصبح المبدأ الميكافيلي (الغاية تبرر الوسيلة) هو الدين الحديد للسياسة.

وإذا كان الدين يقول: إن الاقتصاد يجب أن يقوم على المشاركة والتضامن وعدم استغلال حاجة الإنسان والكفاية لكل أحد في المجتمع وتسرك الغشش والتدليس والحشع والاحتكار والربا ، فإن العلمانية تقوم على المنفعة الشخصية والاستغلال والتدليس والربا والأنانية وحب الذات .

وإذا كان الدين يقوم الأخلاق حتى تسمو وترتفع وتنضبط بضوابط الدين فلا تتغير ولا تتلون،فإن العلمانية تقول: إن الأخلاق تتغير مسن مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان،فما كان أخلاقياً في زمن قد لا يكون كذلك في زمن آخر، فالنفاق في العلمانية قد يكون سياسة وحنكة وكياسة والشسرف

والعفة والعرض عادات قديمة التمسك بها تأخر ورجعية والانعتاق منها تقدم وحرية .

وإذا كان الدين يقول: إن القانون الذي يسير عليه الناس يجب أن يكون سياجاً يحافظ على دينهم وأخلاقهم وأعراضهم ودمائهم، فإن العلمانية قد تقول: إن اللواط والزنا مسألة شخصية، بل قد تنظمها بقانون بحيث ترفع عنها الحرمة، بل حتى الكراهة ، كما حدث في الغرب ،

وهكذا في كل شؤون الحياة ، لا حكم للدين ولا لقيم السماء أن تحكم بين الناس أو أن تكون مرجعاً يعود إليه الناس في حياتهم ومعاشهم .

وإذا كانت العلمانية حين سادت في الغرب لم تحد مقاومة بل رحب كاناس ، وتسللت إلى حياهم تسللاً طبيعياً ،ورأى الناس في العلمانية انعتاقاً من دين لا يتلاءم مع الفطرة فإن العلمانية في بلاد المسلمين قد فرضت على الناس فرضاً بالحديد والنار ، فرضت العلمانية في الغرب من القاعدة العريضة للشعب ، أما في بلاد المسلمين فإن فرض العلمانية جاء من أعلى إلى أسفل ، من الطبقة الحاكمة التي نصبها الاستعمار قبل خروجه على الشعب وبقوة السلاح ،

ولذلك فإن العلمانية مرفوضة في بلاد المسلمين ، ولابترك للناس حريــة الاختيار إلا اختاروا الإسلام ودعاته وخاصة من الطبقة المثقفة التي اكتشفت خداغ العلمانية وزيفها سواء بمفهومها الشرقي أو الغـــربي ، فـــأقبلوا علـــى الإسلام رجالاً ونساء ،وهم الذين أراد لهم أعداء الله من تعلـــيمهم التعلــيم العلماني أن يكونوا قواعد للعلمانية في بلاد المسلمين ، فأبي الله إلا أن يكون

هؤلاء المثقفون دعاة للإسلام وناصرين لدينه،حتى قال أحد العلمانيين :(لقد زرعنا العلمانية في الجامعة ، فأنبتت الإسلام) (١) .

ولا أدل على ذلك من اكتساح التيار الإسلامي لمعظم النقابات المهنية في مصر ونوادي هيئات التدريس واتحادات الطلاب .

وعندما أجريت الانتخابات في الجزائر كانت الطائفة المثقفة وراء الفوز الساحق لجبهة الإنقاذ الإسلامية على كل الأحزاب العلمانية مجتمعة ، وفي تركيا فاز حزب (الرفاه الإسلامي) في الانتخابات البلدية في معظم المدن الكبرى بالإضافة إلى العاصمة السياسية (أنقيرة) والعاصمة التقافية (اسطنبول) وغالبية المدن هم من المثقفين مما يدل دلالة واضحة وأكيدة على أن العلمانية وتنحية الدين في بلاد المسلمين ما هو إلا مرض عارض وعلة طارئة .

بعد سقوط الشيوعية والهيار أحد أقطاب العالم المعاصر أعلنت الحرب على الإسلام في أقطار الدنيا وأنحاء المعمورة ، ففي كل مكان - تقريباً - يوجد فيه إسلام أو صحوة إسلامية فهى تقابل بحرب ضروس لا تعرف الهوادة أو الرحمة بل لا تعرف غير لغة الاستئصال والبتر ، وأعلن الغرب العلماني والصهيونية العالمية بصراحة ووضوح أن عدوها هو الإسلام ، وأنه هو العدو الجديد القديم وهو الخطر على الحضارة الغربية والقيم المادية ، بل

⁽۱) حاء فى مذكرة سعد زغلول المنشورة يوم ۲۱ ديسمبر ۱۹۰۸ بمناسبة الخطب التي ألقيت في افتتاح الجامعة المصرية تعقيباً على كلمات الخطباء ، وصفه للكلمة التي ألقاها أحمد زكي باشا بألها كانت أثقل الكلمات على السمع، وأبعدها عن الموضوع وأفرغها عن حسن اللوق؛ لأنه تكلم فيها عن الإسلام ومجده بأمور متكلفة ليس من اللياقة إلقاؤها في افتتاح حامعة لا دين لها إلا العلم .

لقد أعلن رئيس وزراء إسرائيل إسحاق رابين: أن الخطر الأول على دولة إسرائيل هي الأصولية الإسلامية ، ثم جاء بعدها خطر امتلاك العرب للسلاح النووى، ولذلك فإن الهدف الحقيقي والأساسي للسلام مع اليهود من الأنظمة العلمانية هو محاصرة الصحوة الإسلامية وتطويقها تمهيداً للقضاء عليها ، فبدلاً من أن تواجه الجيوش اليهود ستستدير لمواجهة الصحوة الإسلامية.

إن بحرد وجود الإسلام النظيف خطر على القيم الهابطة والمادية الطاغية وحضارة الغرب المستغلة ، ولذلك فإن الغرب لا يسمح لهذا المارد بالعودة ؛ لأن التعايش معه مستحيل ، وكأن لسان حالهم يقول ما قاله المنحرفون مسن قوم لوط ﴿ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهُّرُونَ ﴾ [الاعراف: ٨٣] ، فكل فكر شاذ أو عقيدة منحرفة - حتى ولو كانت من النوع الذي يعبد الأبقار والأصنام مقبول من الحضارة الغربية ويمكن التعايش معه إلا الإسلام.

والغرب على رغم الاختلافات العرقية والمذهبية بينهم والتي كانت سبباً في حروب مدمرة بينهم – مثل الحرب العالمية الأولى والثانية والتي قتل فيها عشرات الملاين – لا يتفقون في شيء اتفاقهم في حرب الإسلام ، فإذا كانت الحرب على الإسلام اتفقوا واتحدوا وتحالفوا ، ولا ننسى الحروب الصليبية التي كان يأتي فيها ملوك أوروبا مجتمعين ، ملك فرنسا ، ملك الإنجليز ، ملك الألمان وغيرهم – على رغم الخلاف بينهم – لغزو بلاد الإسلام وكذلك وقوف الغرب كله خلف اليهود لحرب العرب والمسلمين، على رغم الخلاف الهائل بين اليهودية والنصرانية وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ النّهُ الله وَ لا النّصارى حَتَّى تَتْبِعَ مِلْتَهُمْ ﴾ الآية [البقرة : ١٢١]، ﴿ وَلا يَزَالُونَ عَنْكَ الْيَهُ سُودُ وَلا النّصارى حَتَّى تَتْبِعَ مِلْتَهُمْ ﴾ الآية [البقرة : ١٢١]، ﴿ وَلا يَزَالُونَ مَنْ الْهُلُ الْمُكْتَلُ مِنْ عَنْد النّه العَلْمَ مَنْ بَعْد الْيَهَا الّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَاتَ مَسَنْ مَمْنَ الْهُمُ الْحَقُ ﴾ الآية [البقرة : ٢١٧]، ﴿ وَلا يَزَالُونَ مَنْ الْهُمُ الْحَقُ ﴾ الآية [البقرة : ٢١٧] ، ﴿ وَلا يَقَالَمُ مَنْ بَعْد الْهُمُ الْحَقُ ﴾ الآية [البقرة : ٢١٧] ، ﴿ وَلا يَرَالُونَ مَنْ اللهُمُ الْحَقُ ﴾ الآية [البقرة : ٢١٧] ، ﴿ وَلا يَقَالَ اللّي اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

دُونِكُمْ لا يَٱلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُوا مَا عَنتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْسُواهِمْ وَمَسَا تُخفَسِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيْنَا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنتُمْ تَغَقَلُونَ . هَا أَلْسَتُمْ أُولاً وَتُحَبُّونَ يُحِبُّونَكُمْ وَتَوْمُنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنًا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْكَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ الآية[آل عمران: ١١٨،١١٩] .

إن الغرب يعتبر أن عودة الإسلام تعنى تلقائياً أفول الحضارة الغربية وذبولها ودخولها في عالم الاحتضار، فإن كان ولابد ، فلا مانع من أن يكون الإسلام دروشة أو عاطفة أو بحرد عبادات تؤدى وصلوات تقام،ولكن الإسلام الذى حاء به محمد بن عبد الله والسلام التحرر والاستقلال ، إسلام العنة والكرمة، إسلام الوحدة والتجمع ، الإسلام الذي يعيد الانسجام بين المادة والروح،ويربط الإنسان التائه بخالقه ومولاه، ويعيد إليه القيم الفاضلة والمبادئ الراشدة بعيداً عن الشذوذ والانحراف أو الاستغلال والأنانية، الإسلام الذي يضبط التروات ويسمو كها ويضعها في إطارها الصحيح بعيداً عن الأهواء لغير الله المتقلبة والشهوات المضطربة، الإسلام الذي يرفض كل صور العبودية لغير الله، فإن هذا الإسلام - لدى الغرب - مرفوض ، مرفوض ، مرفوض ، مرفوض .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ،،

أبو مسلم محمد شهدى في ١٤١٦/١/٢٦هــ ج ، م ، ع قرية الاتحاد – المترلة – دقهلية



الفصل الأول بداية العلمانية



بداية العلمانية

بدأت العلمانية في أوروبا في القرون الوسطى مع بذور العلم الأولى عندما وقفت الكنيسة بكل قوة وعنف أمام أي محاولة للبحث العلمي المجرد .

وفي الحقيقة فإن معنى العلمانية كان موجوداً في الوثنيات القديمة عند الروم واليونان وغيرهم ، حيث كانوا يعتقدون أن الهتهم معزولة وأنحسا لا تعسى بشؤون العالم .

يقول الراهب أو غسطين:

إن الروم الوثنيين كانوا يعبدون آلهتهم في المعابد ويهزؤون كهرم في دور التمثيل، ليس هذا فحسب بل إن إيبقور (ق٤) قبل الميلاد ليعلن على الملك دعوة علمانية صريحة فهو يقول:

إن الآلهة لا يشغلون أنفسهم بأمور بنى البشر ، نعم إلهم موجودون لألهم يظهرون من آن لآخر للأشخاص ، بيد أن مسائل العالم الأرضي لا تعنيهم ، وما من علامة تدل على ألهم يعنون بعقاب الآثم وإثابة الصالح ، أيمكن اعتقاد تدخلهم هذا مع ما نراه في العالم ؟!) (١) .

⁽١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : الندوي .

ويقول جوبيير:

((إن الإلهة تعيش بعيدا عن العالم ولا يهتمون إلا بشؤونهم فسلا تعنيهم أمورنا إلى الله عيشون حكماء سعداء ويعظوننا بهذا المثال الذي يجب أن نسير عليه وعلى منواله ، فلنعظهم كمثل عليا يقتدى بها غير أنه يجب علينا ألا نشغل أنفسنا بما يريدونه منا ، فإنهم لا يريدون منا شيئاً هم لا يعيروننا بالاً ، فلنفعل نحوهم كما يفعلون نحونا)) (١) .

ومع أن هذا ليس موضوع بحثنا، إلا أنه يبين أن الشعوب الأوروبية كانت مهيأة لأن تتقبل هذه الأفكار حتى بعد إيمانها بالنصرانية ، التي هي في الأصل رسالة سماوية جاءت لتربط الأرض بالسماء والخالق بالمخلوق ،

إن الله تعالى في رسالة عيسى – عليه السلام – كما في رسالة محمـــد – صلى الله عليه وسلم إنما أرسله ليدل الناس على ربهم وخالقهم فهو سبحانه لم يخلق ويتخلى عن خلقه وإنما الخلق والأمر له سبحانه يقول تعالى :

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

ويقول تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَّهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَّهُ﴾

[الزخرف: ٨٤]

⁽١) العلمانية : سفر الحوالي ، ص٥٥ .

هذه هي رسالة عيسى – عليه السلام – وهي رسالة كل نبي ، ولكن الكنسية انحرفت عن نهج المسيح وتركت رسالته والختلطت تعاليمها بوثنية قسطنطين الملك الروماني الوثني ، وهو رجل وثني ظل وثنياً إلى أن عمد وهو على فراش الموت .

يقول دراير الأمريكي في كتابه (الدين والعلم): ((ودخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومانية بتظاهرهم بالنصرانية ، ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين ولم يخلصوا له يوماً من الأيام ، وكذلك كان قسطنطين ، فقد قضى عمسره في الظلم والفحور ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلاً في آخر عمره .

وإن هذا الإمبراطور الذي كان عبداً للدنيا ، والذى لم تكن عقائده الدينية تساوي شيئاً ، رأى لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبيين المتنافسين النصراني والوثني أن يوحد بينهما ، حتى أن النصارى الراسخين أيضاً لم ينكروا عليه هذه الخطة ، ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة ستزدهر إذا طعمت ولقحت بعقائد الوثنية القديمة وسيخلص الدين النصراني عاقبة الأمر مسن أدناس الوثنية وأرجاسها)) (١).

يقول الأستاذ محمد قطب:

⁽١) ماذا حسر العالم بانحطاط المسلمين : الندوي ٠

((إن ابن الله أنشأ للكنيسة بأن جعل الرسول بطرس أول رئيس لها ، وإن أساقفة روما قد ورثوا سلطات بطرس في مسلسل مستمر ؛ ولذلك فإن البابا ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن يكون له السيادة والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاماً كانوا أو محكومين)) .

وفرضوا لأنفسهم عشور أموال الناس ، فضلاً عن تشغيل الناس سلحرة في حقول الكنيسة التي سرعان ما أصبحت في ظل وضعها الجديد من ذوات الإقطاع ، وفضلاً عن الإتاوات المفروضة على الأغنياء والوصايا الماحوذة بسيف الحياء حين يستدعى الكاهن لكتابة الوصية قبل الموت .

ثم فرضوا سلطاناً فكرياً رهيباً يحجر على العقــول أن تفكــر إلا بـــإذن الكنيسة ، وفي الحدود التي تسمح بما الكنيسة .

ولقد كان هذا بالنسبة للكنيسة ضرورة لازمة ومنطقية مع التحريف الذي حدث في الدين، فالإله الواحد الذي أصبح ثلاثة ، والثلاثة الذين هم في ذات الوقت واحد، والعشاء الرباني الذي تتحول فيه كسرة الخبز إلى حسد المسيح وجرعة الخمر إلى دم المسيح وتتحد به الصلة بين العبد والرب حين يأكل الإنسان حسد المسيح ويشرب من دمه ، وكرسي الاعتراف الذي يصعد منه غفران الكاهن للذنوب إلى الرب فيعتمده في عليائه .

وصك الغفران الذي يكتبه الكاهن في الأرض ، فيدخل الإنسان الجنة في الآخرة بغير حساب ، إلى عشرات من أمثال تلك الأسسرار الستي هسي في حقيقتها أساطير ، كلها أمور لا يستطيع العقل أن يدركها أو أن يتدبرها ، فماذا لو عمل الناس عقولهم فاكتشفت عقولهم أن كل ما يقال لهسم باسسم العقيدة كلام لا يثبت للتمحيص ؟!

ماذا سيبقى للكنيسة حينئذ من سلطان على الناس ؟ الحـــل الأمشــل أن تحجر الكنيسة على العقل وأن تعتبر التفكير هرطقة تفضى إلى إهدار الدم في الدنيا والحرمان من الغفران في الآخرة .

ثم لما بدأت العلوم تتسرب إلى أوروبا من العالم الإسلامي عسن طريسة الترجمة ، وحدث ما يمكن أن نسميه غزواً فكرياً إسلامياً - خاصة بعد هزيمة النصرانية أمام المسلمين في الحروب الصليبية - جن جنون الكنيسة ففرضت حجراً على العلم ، وأهدرت دم كل من يقول يومئذ بكروية الأرض أو ألها ليست مركز الكون ، وهو العلم الذي نقله علماء النصارى الأوائسل مسن مؤلفات علماء المسلمين.

ثم لما زاد تشكك النصارى في سلامة العقيدة التي تلزمهم ها الكنيسة ويحجر عليهم التفكير في نشأتها تحت شعار (آمن ولا تناقش) ، وزاد تمرد المفكرين على سلطان الكنيسة الطاغي ، ابتدعت الكنيسة آخر ما رمت بالناس من فنون الاضطهاد ، وهو محاكم التفتيش بكل بشاعتها التي تقشعر لها الأبدان .

يقول (ولز) في معالم تاريخ الإنسانية :

(رشهد القرن الثالث عشر تطور منظمة حديدة في الكنيسة ، هي محكمة التفتيش البابوية ، وهذه الأداة نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنساني بالنار والعذاب .

وقبل القرن الثالث عشر لم تترل عقوبة الإعدام إلا ندادراً بالملاحدة والكفار، فأما الآن فإن كبار رجال الكنيسة كانوا يقفون في مائة ساحة من ساحات الأسواق في أوروبا ، ليراقبوا أجسام أعدائها - وهم في غالبية الأمر قوم فقراء لا وزن لهم - تحترق بالنار ، وتخمد أنفاسهم بحالة محزنة وتحترق وتخمد معهم في نفس الوقت الرسالة العظمى لرجال الكنيسة إلى البشرية رماداً تذروه الرياح ، رأى آباء الكنيسة والملوك أن المصلحة المشتركة لهما توجب التعاون، وكان الضحية هم عامة الشعب الذين كان عليهم أن يؤدوا ضريبة الذل والعبودية للاننين معاً ، ولكن كان السلطان الأعظم لرجال الدين حتى على الملوك والسلاطين فضلاً عن عامة الناس ، والويل للملك الدي يغضب عليه البابا أو تحرمه الكنيسة)) .

كان رأى الكنيسة حتى في المسائل العلمية البحتة لا يناقش فضلاً عن أن يرد.

فالأرض ليست كروية ، والأرض محور الكون لأن المسيح تحسد عليها ، أما عن كروية الأرض وسكن جانبها الآخر فقد قالت الكنيسة في ذلك :

((إن من خطل الرأي أن يعتقد الإنسان بوجود أنــاس تعلــو مــواطئ أقدامهم على رؤوسهم وبوجود نباتات وأشجار تنمو ضــاربة إلى أســفل، وقالت: إنه لو صح هذا الزعم لوجب أن يمضي المسيح إلى سكان الجانــب الآخر من الأرض ويموت مصلوباً هناك من أجل خلاصهم)) (١).

⁽١) العلمانية لسفر الحوالي ،

وحددت الكنيسة خلق الأرض والطوفان بسنوات معينة ، بل حددوا قيام الساعة وكان سنة ، ١٠٠٠ من ميلاد المسيح ، وقالوا : إن الأرض ثابتــة لا تتحرك وما عليها كذلك ، وكان ذلك من المسلمات عند الكنيسة التي يكفر مخالفها ويكون مصيره الحرق ،

ومن سوء حظ الكنيسة أن النظريات الكونية والعلوم التطبيقية الحديثة أثبتت الأيام والتجارب صحتها ، ثم جاءت بعدها النظريات الإنسانية كنظرية (دارون) و (فرويد) والنظريات الملحدة والعلمانية ، فلما اصطدمت الكنيسة مع الصحيح وثبت خطؤها خسرت معركتها مع الباطل .

إن النظرية التي هزت الكنيسة لأول مرة هي نظرية (كوبرنيق) سنة ١٥٤٣ م الفلكية .

فقبل هذه النظرية كانت الكنيسة المصدر الوحيد للمعرفة ، وكانــت فلسفتها تعتنق نظرية بطليموس التي تجعل الأرض مركز الكون وتقــول : إن الأجرام السماوية كافة تدور حولها .

فلما ظهر (كوبرنيق) بنظريته القائلة عكس ذلك ، كان حديراً بأن يقع في قبضة محاكم التفتيش ، و لم ينج من ذلك لأنه كان قسيساً ، بل لأن المنية أدركته بعد طبع كتابه بقليل فلم تعط المحكمة فرصه لعقوبته ، إلا أن الكنيسة حرمت كتابه (حركات الأجرام السماوية) ومنعت تداوله وقالت : إن ما فيه هو وساوس شيطانية مغايرة لروح الإنجيل .

وظنت الكنيسة أن أمر هذه النظرية قد انتهى ولكن رجـــلاً آخـــر هـــو (جردانو برونو) بعث النظرية بعد وفاة صاحبها ، فقبضت عليـــه محكمـــة

التفتيش وزحت به في السجن ست سنوات ، فلما أصر على رأيه أحرقته سنة مرتب و المواء وجعلته عبرة لمن يعتبر، وبعد موتب ببضع اسنوات كان (جاليليو) قد توصل إلى صنع التلسكوب فأيد تجريبياً ما نادى به أسلافه نظرياً ، فكان ذلك مبرراً للقبض عليه ومحاكمته وقضي عليه سبعة من الكرادلة بالسجن مدة من الزمان وأمر بتلاوة مزامير الندم السبعة مرة كل أسبوع طوال ثلاث سنوات ، ولما خشى جاليليو على حياته أن تنتهي بالطريق الذى انتهى كما (برونو) أعلن ارتداده عن رأيه وهو راكع أمام رئيس المحكمة قائلاً :

((أنا حاليليو وقد بلغت السبعين من عمري راكع أمام فخامتكم والكتاب المقدس أمامي ألمسه بيدي ، أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحادي الخاطئ بدوران الأرض)) 1 .

وتعهد مع هذا بتبليغ المحكمة عن كل ملحد يوسوس له الشيطان بتأييـــد هذا الزعم المضلل (١).

كل هذا حعل رحــــلاً مثل (فولتير) يقول بسخرية عن علم الكنيسة : ((من الواضح أن الله لم يكن قوياً في الجغرافيا)) (٢).

⁽١،١) العلمانية لسفر الحوالي ، ص ١٥٠ .

قاومت الكنيسة كل محاوله للتجديد وإن كانت نافعة ، فقد كفرت رئيس بلدية في ألمانيا لأنه اخترع غاز الاستصباح بحجة أن الله خلق الليل ليلاً والنهار نحاراً ، وهو بمخترعه يريد أن يغير مشيئة الخالق فيجعل الليل فاراً . (١) .

هكذا وقفت الكنيسة ضد سنن الله في الكون وأمام الحقائق العلمية الصحيحة بقوة وعنف شديد ، ولكن مع ظهور العلم وثبوت النظريات التي قالت الكنيسة بخلافها وتململ العلماء والباحثين وظهور فائدة علومهم في مقابل ظلم الكنيسة وجمودها ، بدأ الناس يميلون شيئاً فشيئاً إلى حانب العلوم والنظريات الحديثة .

وكانت معلومات الكنيسة الخاطئة عن الكون والحياة - والتي هي ليست وحياً - سبباً في رفض الناس لكل ما عند الكنيسة من حقائق دينية وغير دينية، وطالبوا بأن تتنحى الكنيسة عن شؤون الحياة وبأن يحكم العلم والعقل على الدين بعد أن ثبت صحة الأول وخطأ الثاني.

واستمر هذا الوضع قروناً بين شد وجذب وصراع ودماء ومحاكم تفتيش، تفتش عما في الضماثر وما تكنه الصدور .

هذا باختصار صراع الكنيسة مع العلم ، ومن أراد المزيد فليراجع رسالة الماجستير لسفر الحوالي .

⁽١) العلمانية لسفر الحوالي ، ص ١٥٨.

مكان النصر في النماية حليفاً للعلم ضد الجهل والعقل ضد الهوى ، وكان

وكان النصر في النهاية حليفاً للعلم ضد الجهل والعقل ضد الهوى ، وكان ذروة ذلك بالثورة الفرنسية التي هي رائدة العلمانية في العصر الحديث ، فقد حاءت والناس في بؤس إلا طائفتين :رجال الدين والملوك والأمراء المتحالفين ، حيث كانوا ينعمون بكل شيء ، ووقفت الكنيسة تساندهم ، فانقلب الناس على الاثنين معاً ، وكان شعار الثورة : ((اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)) ،

وانتصرت الثورة، وحوصرت الكنيسة، وصودرت أملاكها، وسرح الرهبان والقساوسة، وحلت الجمعيات الدينية ، وألغيت امتيازا قما، وحورب السدين علناً، وأصبح رجل الدين تابعاً وموظفاً للدولة بعد أن كان هو الدولة ، واندس اليهود في صفوف الثورة ورفعوا الشعار الشهير: (حريسة ، إحساء ، مساواة)، ورددته الجماهير الغاضبة دون وعي .

فالمقصود بالحرية: هو الإباحية وتحطيم القيود الأخلاقية وحرية العقيدة ؟ وقصدوا بالإخاء والمساواة: تحطيم الحواجز النفسية بينهم - أي اليهود وغيرهم من الشعوب - بغض النظر عن الدين ، لكي يسهل عليهم بعد ذلك الوصول إلى المناصب العليا ، وتنفيذ مخططاتهم للسيطرة والإفساد ،

ألغي دور الكنيسة، وحوصر نشاطها، وأصبح ينظر إلى الدين ورجاله على أهم رمز للتخلف والجمود، وحدد نشاط الكنيسة في المسائل التعبدية فقط وداخل حدران المعبد لا يخرج عنه، أما مسائل الحكم والتشريع والسياسة والاقتصاد والأخلاق والتعليم وغيرها فلا شأن للكنيسة أو الدين به.

كل هذا حدث في الوقت الذي كان المسلمون لا يعرفون تعارضاً بين العلم والدين ، بل أيقنوا أن الإسلام يدعو إلى العلم وإلى المعرفة بحقائق الحياة، وما الإسلام إلا انطلاقة في هذا المحال يوم أن يكون حياً طرياً في حياة المسلمين .

وكانت الأندلس والمراكز الإسلامية الأخرى هي المعبر التي عبرت منها العلوم إلى أوروبا ، وكان الأوروبيون يفدون إلى بلاد المسلمين ومراكز العلم فيها ؛ لينهلوا من المعارف المختلفة، وتحدثنا كتب التاريخ عن هؤلاء الطلاب ألهم كانوا يفدون إلى بلادهم ويفتخرون ألهم تعلموا في بلاد المسلمين، وكانوا يخلطون لغتهم ببعض العربية كما يفعل بعض المسلمين اليوم عندما يخلطون العربية ببعض الإنجليزية عندما افتتنوا بحضارة الغرب .

لقد كانت الكنيسة تحذر هؤلاء الشباب الذين خلطوا لغتهم بالعربية ، تحذرهم بالطرد والإبعاد ، بل إن التاريخ ليحدثنا: أن هارون الرشيد الحاكم المسلم أرسل إلى الإمبراطور (شارلمان) بساعة أهداها إليه ، ففزع الإمبراطور وحاشيته ؛ ظانين أن كما قوى خفية من الجن والشياطين ، وذلك لما رأوا عقاركما تتحرك دون أن تلمسها يد .

ويحكي ابن كثير في تاريخه عن عظمة المسجد الأموى: أن الدنيا لم يكن فيها أحسن منه، حيث أتى إلى دمشق جماعة من بلاد الروم رسلاً من عند ملوكهم ، فلما دخلوا دمشق ورأوا ما بمر عقولهم من حسن الجامع الباهر والزخرفة التي لم يسمع بمثلها صعق كبيرهم ، وخر مغشياً عليه فحملوه إلى مترلهم ، فبقى أياماً مريضاً، فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال : ما كنت

أظن أن يبني المسلمون مثل هذا البناء ، وكنت أعتقد أن مدتمم تكون أقصــر من هذا .

هذه هي الظروف التي مر بما الغرب ، وهذه هي تجربته مع الدين .

يقول الأستاذ محمد قطب:

لقد تحول الدين على يد الكنيسة إلى عامل معوق عن الحياة مضاد للعلـــم والحضارة والتقدم والرقي ، محقر للإنسان ونزعاته الحيوية ، مهمل للحيـــاة الدنيا يوهم العمل على خلاص الروح والتهيؤ لملكوت الله في الآخرة .

ينسب للمسيح عليه السلام أنه قال : ((إذا أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك ، فإنه خير لك أن يهلك منك عضو واحد من أن يلقى بدنك في النار)) ، وأنه قال : ((من أراد الملكوت فليترك ماله وأهله وليتبعني ، ومن أراد الملكوت فليحمل صليبه وليتبعني)) .

وكلها دعوة للزهد والانقطاع عن الدنيا ، وهذا هو ما فهمه النصارى فتركوا الدنيا ، وعكفوا في البيع والصوامع رهباناً منقطعين عن كل شيء إلا لم يعتقدون أنه عبادة الله .

إذا كان مجرد التفكير والبحث في الدنيا والكون يعتبر عندهم زندقة ومروقاً عن تعاليم المسيح،وأن مجرد تطوير الحياة وتحسينها يعتبر حروجاً من الملكوت ، وأن دراسة ظواهر الطبيعة ومراقبة المحلوقات والنظر في قسوانين الكون سيئة ومروق، وأن الاستجابة لدوافع الجسد ونشاطه الفكري خطيئة .

- إذا الذي فهمه الأوروبي عن الدين :
- أنه يهمل الحياة ولا ينشغل إلا بالآخرة فقط .
- أن الدين يحتقر الجسد ونزواته ونشاطه الفكري.
 - أن الدين يحارب العلم ويرضى بالجمود.
- أن الدين يرفض الحركة والتطور ويؤمن بالثبات المطلق .
- أن الدين يحجر على العقل ولا يدعه يفكر ؛ لأنه إذا فكر ضل وزاغ.

هذا هو ما فهمه الغربي عـن الدين ، فهل فهم المسلمون الإسلام هـذا الفهم ، أو مروا بنفس التجربة ؟

إن التاريخ يشهد أنه ما من مرة فهم المسلمون دينهم فهماً صحيحاً وطبقوه في واقع الحياة والناس إلا وشهدوا بعدها انطلاقة كبرى ، وما من مرة غيب الإسلام إلا وتقهقروا وتخلفوا .

إن فخر المسلمين ومجدهم حتى اليوم هو يوم أن كان الإسلام حياً طرياً ، وما تقهقر المسلمون إلا بعد أن تخلوا عن رسالتهم وانكمش الدين في حياهم، يومها أصبحوا كالأيتام على موائد اللئام .

- هل فهم المسلمون من دينهم استقذار دوافع الجسد الفطرية واعتـزال النساء على أساس ألهم شياطين كما يقول آباء الكنيسة ؟

أم أن كتابهم يقول لهم :

﴿ فَالْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ مَثْنَسَى وَلُسلاتَ وَرُبَسَاعِ ﴾ [النسساء: ٣]، ورسولهم صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد أن يعتزل النساء: " فمن رغب عن سنتى فليس منى " ،

ويقول عليه الصلاة والسلام: "وفي بضع أحدكم صدقة "، فيقول الرحل: أيأتي أحدنا شهوته يا رسول الله ، ويكون له أحر ؟ قال : "نعم ، أرأيت إن وضعها في حرام أيكون عليه وزر؟" قال : نعم ، فقال الرسول 激: "كذلك إن وضعها في حلال يكون له أحر " . (حديث صحيح) .

ويقول عليه السلام : " لا يكرمهن إلا كريم ..." .

هل فهم المسلمون من دينهم أنه يقعدهم عن البحث والتأمل والنظر في قوانين الكون والحياة ؟وكتابهم يقول لهم ﴿ أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى الْمَجَالِ كَيْفَ تُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ الآية [الناشية: ١٧ – ٢٠] .

ويقول لهم : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالثَهَارِ وَالْفُلْكِ اللَّهِ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ لَئِهُ مَنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ لَعُدَ مَوْتِهَا وَبَثُ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَةٍ وَتَصْرِيفِ الرَّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّسَمَاءِ وَالنَّرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَفْقِلُونَ ﴾ وَالنَّرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَفْقِلُونَ ﴾

[البقرة: ١٦٤]

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْسَلِ وَالنَّهَسَارِ كَايَاتَ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران : ١٩٠].ورسولنا ﷺ يقول فيها : " ويل لمن قرأها ولم يتدبرها " . ويقول تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَالظُّرُوا كَيْفَ بَسَدَاً الْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

هل فهم المسلمون من دينهم أنه يقعدهم عن طلب العلم النافع ،
 وكتابهم يقول لهم في أول سورة نزلت : ﴿ اقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلَمِ . عَلَمَ الْإِلسَانَ مَا لَهُ
 يَعْلَمُ ﴾ [العلق : ١ - ٥] .

ويقول تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَة مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُـــوا فِــــي الـــــدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] .

ويعلمهم أن من شروط الاستخلاف والحكم ما ذكره على لسان نبي من أنبيائه وهو يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خُزَائِنِ الْأَرْضِ إِلِّي حَفِيهِ الْمَالِمِ عَلِيمٌ ﴾ [يرسف: ٥٥]. فشرط الاستخلاف والحكم بين الناس هو العلم والأمانة ، ورسولهم صلى الله عليه وسلم يجعل فداء المشركين في بدر أن يعلموا المسلمين القراءة والكتابة ، بل إنه عليه السلام يأمر بعض صحابته أن يتعلم لغات غير العربية ،

- هــل فهم المسلمون من دينهم أنه يأمرهم بالرهبنة وعــدم الأحــذ بأسباب القــوة ؟وكتابهم يقول لهم : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْـتَطَعْتُمْ مِـن قُــوّةٍ ﴾ [الأنفال : ٢٠]، ومعلوم أن القوة تشمل قوة الاقتصاد والإعداد والتنظيم وقــوة العقيدة بالإضافة إلى القوة العسكرية ،

ورسولهم ﷺ يقول لهم: " ارموا واركبوا ، ولئن ترموا أحب إلى من أن تركبوا " ، ويقول لهم : " ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي " ألاث مرات ، ويأتي العصر الحديث وتكون قوة الجيوش في الرمي .

ويقول عليه الصلاة والسلام : " المؤمن القوي أحب إلى الله من المـــؤمن الضعيف... " الحديث .

هل فهم المسلمون من دينهم أنه يأمرهم باعتزال الحياة وتحريم الطيبات وعدم الاستمتاع بما فيها من حلال؟وكتابهم يقول لهم : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ النِّي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّليَا حَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

ويقول تعالى – لمن آتاه الله المال :﴿ وَالنَّتِغِ فِيمَا آثَاكَ اللَّهُ السَّدَّارَ الْسَآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص : ٧٧] .

ويقول رسولهم ﷺ:"كل ما شئت ما أخطئتك خصلتان سرف ومخيلة " .

- هل فهم المسلمون من دينهم أنه يعطل العقل أو يحجر عليه ؟ وكتابهم يأمرهم أن يحركوا عقولهم وألا يعطلوها ، وأن يكون إيماهم مبنياً على الفهم والوعي ، حتى في حقائق الإيمان الكبرى ، يناقش المشككين فيها بأسلوب عقلي ويقيم عليهم الحجة التي تسكتهم فلا يملكون بعدها إلا لي الرؤوس .

فعن حقيقة الإيمان بالله يقول للجاحدين المتشككين : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَالْ لا يُوقَنُونَ ﴾ [الطور : ٣٥ ، ٣٦] .

هل يستطيع أحد من الناس مهما كانت مترلته فى العلم والمعرفة ، أو الجدال والسفسطة أن يجيب على همذا السؤال بغير الحقيقة ؟ ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُسُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقَنُونَ ﴾.

وهـــذا ملحــد آخر يحاج إبراهيم - عليــه الســـلام - في ربـــه، فيدخل في مناظرة مع النمرود اللعين قوامها الحجة والبرهــان ونتيجتها بحتان وخزى : ﴿ أَلَمْ تَوَ إِلَى الَّذِي حَاجٌ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْــكَ إِذْ قَــالَ إِبْرَاهِيمُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَخْفِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَــإِنَّ اللَّــة يَــاتِي إِبْرَاهِيمُ وَلِمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَــإِنَّ اللَّــة يَــأتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَــوْمَ الظَّالَمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨]

وهو لم يحي ويميت ولكنه قتل ، والفرق كبير بين القتـــل والإحيـــاء ، ولكن إبراهيم - عليه السلام - لم يرد أن يدخل معه فى جدال ، إنمـــا أراد الحجة المخرسة .

يقول سبحانه : ﴿ قَالَتُ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّــمَاوَاتِ وَالْـــأَرْضِ ﴾ الآية [إبراهيم : ١٠] .

وعن الوحدانية يقول ويخاطب أهل الشرك :﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُــلْ هَاتُوا بُرْهَانكُمْ ﴾ [الانبياء: ٢٤] .

ويقول تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

ويقــول سبحــانه : ﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرَّقُونَ خَيْــرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ويقــول سبحــانه : ﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرَّقُونَ خَيْــرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

ويقول تعالى : ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد: ١٦] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكُّرُونَ﴾

[النجل: ١٦]

وعـــن البعث والنشور يقول للمرتاب الذي أنكـــر قـــدرة الله علـــــى البعث بالعظـــم البالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَلَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُخْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُخْيِيهَا الَّذِي ٱلشَّالَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٩] .

ويرد سبحانه عمن استبعد البعث والنشور رداً يفحمه ويسكته ولا يملك بعده إلا لي الرؤوس: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَا لَمَبْعُوثُونَ حَلْقاً جَدِيداً . قُلْ كُولُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً . أَوْ خَلْقاً مِمّا يَكُبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُللِ الّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً فَسَيْنُغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُللْ عَسَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً ﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥٠] .

فمن يملك أن يرد الجواب إلا بالهروب والمراوغة : ﴿مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ السَّدِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ ﴾ .

ويقول سبحانه:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الــروم: ٢٧] ، فلـــو فرض وكـــان هناك صعوبة في الخلق الأول لكانتِ الإعادة الثانيـــة أســـهل وأهون .

وعن ضرورة أن يكون هناك جزاء لمن استقام وأصلح وعقاب لمن أساء وأفسد يقول سبحانه مخاطباً العقول :

﴿ أَلْنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

[القلم: ٣٥، ٣٦]

ويقول تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِسدِينَ فِسي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص : ٢٨] .

ويقول تبارك وتعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُمُ لا يَقْدِرُ عَلَىــى شَيْءٍ وَهُوَ كُلِّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦] .

ويقيم الدليل علم الرسول وأنه يجب أن يكمون بشراً ، فيقول تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذَّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥] ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُسكَ مُهْلِسكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولاً ﴾ [النصص: ٥٩] .

فالعذاب لا يقع على المخالف عقلاً وشرعاً حتى يبعث الله الرسول الذي يبلغ عن ربه .

ثم إن هذا الرسول يجب أن يكون من حنس المرسل إليه حتى يألفه ويفهم عنه ويقتدي به ، يقول عز وحل : ﴿ وَمَا مَتَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً . قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزُلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً ﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزُلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً ﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزُلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً ﴾ قُلُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

ويقول سبحانه:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ [الانعام: ٩].

كل هذه أدلة على إثبات الحقائق الكبرى في الدين بواسطة الفهم والعقل والتدبر، فالمجنون والمعتوه والذى فقد عقله لا تجرى عليه الأحكام ولا يكلف بإيمان إنما يكلف أولو الألباب ، إن الله تعالى لا يقبل إيمان أحد أو إسلامه إلا إذا كان قائماً على الفهم والعقل والإقناع ، فإن أسلم وهو غير مقتنع لم يقبل منه ، وإن أسلم مكرها لا يقبل منه ، وهذا هو السر في قوله تعالى : ﴿ لا إِخْرَاةَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيِّنَ الرُّشَدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] فالذي يدخل الدين كارهاً بغير اقتناع وعقل لا يقبل منه إذا لا معني للإكراه .

ولكن ما الذي حدث ؟ لماذا تأخرنا وتقدموا ؟ لماذا تخلفنا نحن المسلمين إذا كان الإسلام يدعو إلى الأخذ بأسباب القوة في كل شيء ، ويحث على العلم وطلبه فلماذا حدث ما حدث ؟

أقول: جرت علينا سنن الله التي لا تحابي أحداً على أحد ولا تتخلف إذا تخلف إذا تخلف أن الله لا يُقَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَلْفُسِهِمْ ﴾ تخلفت أسباب الاستخلاف ﴿ إِنَّ اللّهَ لا يُقَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَلْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] فنحسن أمة لها رسالة في الحياة: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِاللّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فإذا تخلفنا وتقاعسنا عن أداء رسالتنا ، تخلى نصر الله عنا ، ووكلنـــــا إلى أنفسنا وأصابنا الذل والهوان .

الذي حدث أنه بعد أن فتحت الدنيا أبواها للدين الجديد (الإسلام) ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، والهارت الامبراطوريات أمام زحف الإسلام وقوة عقيدته ، وغلب منطق الإسلام على كل الحضارات الموجودة بسبب إخلاص المسلمين لرهم ولدينهم ، وبسبب استقامتهم واعتزازهم بدينهم ، ثم بسبب انطلاقهم في أرض الله بأسباب النصر من قوة العقيدة وقوة الرابطة وقوة السلاح مع استقامة وزهد وصدق ، حتى أن الرهبان لما رأوهم قالوا: ما الذين صحبوا عيسى بأفضل من هؤلاء .

تتابعت الأجيال يحملون رسالة الإسلام العظيمة وينشرونها في الآفساق ، ويوسعون رقعة الإسلام ، ويحررون الشعوب من العبودية لغير الله ، ورغم أن الشيطان كان قد نزغ بينهم ، ورغم أن الأيدى الخفية الخبيئة الستى كانست تعمل للإفساد وتحاول تمزيق الصفوف إلا أن قوة الإسلام واندفاعه كانست أكبر ، واستمرت الفتوحات لم تتوقف،ومد الإسلام كذلك لم يتوقف حسى وصلت الفتوح إلى بلاد الهند،وأقيمت للمسلمين فيها دوله قويسة وكسر صنمها الأعظم ، ووصلت إلى الصين وساومهم ملكهم على مسال يحمل للمسلمين على أن يرجعوا عنهم ،وفي الغرب كانت الفتوح قد عسيرت إلى الوروبا ونشأت للمسلمين فيها بكبرياء المسلم قائلاً : أمطرى حيث شئت فسوف يأتيني خراجك ، معروفة .

وقصة المرأة التي استغاثت بالمعتصم مشهورة ، إذ جهز جيشاً وخلصها من أيدي الكفار كريمة ، وأذل من آذى امرأة مسلمة واحدة .

ثم ما الذي حدث بعد هذه الانطلاقة الكبرى ؟

الذي حدث أن ركن المسلمون إلى الدنيا ونسوا رسالتهم ، وبدؤوا يستمتعون بما حلبته لهم الفتوحات من مغانم وخيرات ، وانفتحت الدنيا لهم فتنافسوا فيها وركنوا إلى مجد الآباء وفتوحات الأجداد وبطولات الأوائسل ، وظنوا أن الأمر سيدوم على ذلك ، فهم لم يحافظوا على الإسلام بأركانه وشعائره ، في الوقت الذي أخذ فيه الأوروبيون بذور العلوم التجريبية بعد

احتكاكهم بالمسلمين عن طريق الحروب الصليبية وعن طريق اتصالهم المباشر بالأندلس ، وطوروها وانطلقوا بها ، وصدقت فينا نبوءة الرسول على حين قال : " ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتتنافسوا فيها كما تنافس الذين من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم".

فالفتوح ولدت خيرات وسعة عيش ، والخيرات ولدت تنافس ، والتنافس ولد أحقاداً ونزاعات واختلافاً ، وكل ذلك ولد إهمالا ونسياناً للأمانة .

وكذلك ولدت الفتوح والخيرات التي انصبت على المسلمين رفاهية ودعة وسكوناً وحباً للراحة وترك الجهاد والتضحية ، فحدث ما أخبر به الرسول يلا حين قال : "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها " فقال رجل – ظن أن تداعى الأمم علينا وافتراسهم لنا بسبب قلتنا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال الصادق المصدق : " إنكم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ، يترع الله المهابة من قلوب أعدائكم ويضع في قلوبكم الوهن " ، قالوا ما الوهن يا رسول الله ؟ قال : "حسب الدنيا وكراهية الموت " (حديث صحيح) .

إن الهلكة كان يفسرها صحابة رسول الله على أنما ترك الجهاد والإنفاق في سبيل الله لطمع فينا الحدو فكان ذلك سبب هلاكنا وذلتنا وهو ما حدث .

وهذا أبو أيوب الأنصاري - صَنَّهُ - يرى رجلاً من المسلمين يسدخل في صفوف المشركين وحده فيقاتلهم حتى يقتل ، فيقول بعض القسوم : ألقسى بنفسه إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعولها في غير موضعها ، وإلها نزلت فينا معشر الأنصار، لما عز الإسلام ودخل النساس في دين الله أفواجاً وكنا أصحباب زروع وتجارة فقال بعضنا لبعض : إن الله قسد أعز الإسلام ودخل الناس فيه وإنه قد آن الأوان لأن نصلح مسن زراعتنا وتجارتنا التي أهملناها بسبب الغزو والجهاد ، فترل قسول الله تعالى فينا : ﴿وَأَلْفِقُوا فِسِي سَبِيلِ اللهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَهْلُكَة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، فكان الهلاك هو ترك الإنفاق وترك الجهاد في سبيل الله .

إن الله تعالى لا يحابي أحداً،فمن قام بما فرض الله وأوجبه من طاعته وطاعة رسوله فاز في الدنيا والآخرة،ومن تمرد وعصى كان مصيره ما نراه لأمتنا من ضياع وهوان .

لقد تساءل المسلمون عما حدث لهم في أحد،حيث قتل سبعون،وعلى رأسهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب عمم رسول الله نهي ، وفوق ذلك يصاب رسول الله ويشج رأسه وتكسر رباعيته،وشق ذلك على صحابة رسول الله وتساءلوا :كيف حدثت الهزيمة ونحن المؤمنون المسلمون ومعنا نبينا ؟

فكان الجواب من الله توجيهاً وتعليماً: ﴿ أُوَلَمُ أَصَابَتُكُمْ مُصِيّةٌ قَدْ أَصَابَتُكُمْ مُصِيّةٌ قَدْ أَصَابَتُكُم ﴾ مُصِيّةٌ قَدْ أَصَابَتُكُم الله عصياة أَصَابَتُكُم الله عليه الصلاة [آل عمران: ١٦٥] ، فالهزيمة كان سببها عصيالهم لأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بألا يبرحوا أماكنهم .

وإذا كانت هذه المعصية يترتب عليها هذه الخسائر الجسيمة، فما بالك بأمة التمنها الله على وحيه وأنزل لها شرعاً مفصلاً، ومنهجاً كاملاً وعد من تمسك به ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وأقسم لها سبحانه قائلاً: ﴿ فَسلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمُّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَصْيَاتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْليماً ﴾ [النساء: ٦٠] .

ثم إذا هي تدير ظهرها لوحي الله ولسنة رسوله ، وتتبع الطواغيت الذين هم في الغالب خونة لدينهم وأمتهم ، تتبع شرعهم وتحتف باسمهم ، وتقدم شرعهم وقانونهم على قانون الله وشرعته .

أمة والت الكافرين وأحبتهم واقتدت هم في قوانينها وأنظمتها وعاداتها و وتقاليدها .

أمة أكلت الربا ولعبت بدين نبيها ، وشربت الخمور وسمتها بغير اسمه .

أمة أهملت سنن الله في الكون ، ولم تأخذ بأسباب القــوة والتقــدم ، وتركت عدوها يتفوق عليها في كل مجال وانشغلت بتوافه الأمور (١).

هل بعد هذا يترل عليها نصر الله أم أنه سبحانه لايسالي في أي الأوديسة هلكت ؟

لقد شعر المسلمون ببعدهم عن دينهم ، وبما أصابهم من ذل وهنوان ، وبالبون الشاسع بين ماهم عليه وبين ما يدعو إليه الإسلام ، فأخذوا يعودون فرادى وجماعات فيما عرف بالصحوة الإسلامية المباركة .

⁽١) لقد احتشد أكثر من مائة ألف في استاد القاهرة في مباراة لكرة القدم وأخسدوا يهتفسون جميعاً: يا رب: يا رب ماذا يريدون من الله ؟أن ينصرهم على اليهود أو أن يرفع عنهم الغلاء والبلاء أو أن يحكم فيهم شريعته، لا، ولكن أن يدخل لهم الكرة في الشباك ، هذا في الوقست الذى كانت فيهم أقليات إسلامية تباد ومقدسات إسلامية تنتهك !! .







مفهوم العلمانية

مما تقدم يتبين مفهوم العلمانية عند الغرب وظروف نشأتما وكيف تبلورت حتى صارت فلسفة ومنهجاً وطريقة للحياة .

فالعلمانية تعنى عندهم قسمة الحياة قسمين ، قسم لله ويتمثل في جانب ضيق جداً ، وهو الجانب الخاص ببعض الشعائر التعبدية داخل الكنيسة أو المعبد يوم في الأسبوع لمن أراد ، وبعض مظاهر الأحوال الشخصية .

والقسم الثاني وهو الأعظم والأكبر والأخطر والأهم لقيصر أو للحاكم يتصرف فيه كيف يشاء ، المهم أن هذا القسم أو هذا الجانب لا دخل لإله الكنيسة فيه ، ويتمثل ذلك في السياسة والاقتصاد والأخلاق والمناهج وطريقة العيش والعادات والتقاليد وسن القوانين ، وغير ذلك من مختلف شوون الحياة، فإن كل هذه الجوانب لقيصر ليس لله تعالى فيها شيء ؛ لأنه كما قال أحدهم : ((إن عهد وصاية السماء قد انتهى بانتهاء الرسالات السماوية وإن البشرية بلغت سن الرشد ، فلها أن تغير الأحكام وتبدلها طبقاً لتغير الأحوال والملابسات)) (١) .

فالعلماني لا ينكر بالضرورة وحود الله ، ولكن الله في التصور العلماني الجاهلي وفي تفكيره القاصر غير قادر على أن يضع نظاماً للحياة يتناسب مع كل زمان ومكان !!

١١) مجلة الطليعة : محمد أحمد خلف الله ، ١٩٧٥ .

فالله - سبحانه وتعالى - في التصور العلماني الجاهلي هو الذي خلقنا ورزقنا كما كان يؤمن بذلك مشركو مكة ولكنه - سبحانه - لسيس لــه سلطان عليهم ولا يحكمهم ، لأن البشرية قد بلغت الرشد فهو- سبحانه - يملك ولكنه لا يحكم .

وإذا أردنا تقريب هذا المفهوم من واقع الناس فإن العلمانية في تصــورها للحالق – سبحانه – تشبه النظام الملكي البريطاني ، فالملك فيه أو الملكــة لا تحكم ولا تتدخل في أمور السياسة والحكم أو سن القوانين والأنظمة ، وليس لها دخل بتسيير أمور البلاد الاقتصادية أو الاحتماعية أو الأخلاقية ، وإنمــا يقتصر دورها على أنه منصب شرفي ورمز للدولة ، وبعض الأمور الهامشــية كاستقبال الرؤساء والملوك .

((إن إله الغرب مثل إله أرسطو لا يعلم شيئاً غـــير ذاتـــه ، ولا يـــدرى عما في الكون شيئاً ، ولا يدبر أمراً ولا يحرك ساكناً ، فهـــو كمــا قـــال مؤرخ الحضارة والفلسفة (ول ديورانت): إله مســـكين أشـــبه .مملــك الانجليز بملك ولا يحكم)) (١) هذا هو مفهوم العلمانية .

أما العلمانية لغة: فالعلمانية بفتح العين نسبة إلى العلم بمعنى العالم، وهو خلاف الديني، ولقد شاع بين المثقفين العلمانية بكسر العين نسبة إلى

⁽١) الإسلام والعلمانية للقرضاوي .

العلم ، واستغل ذلك العلمانيون ليوهموا الناس أن هناك تعارضاً بين العلـــم والدين ، وعلى كل سواء كانت العلمانية بالفتح أو بالكسر فالعبرة بالمقصود منها .

تقول دائرة المعارف البريطانية في تعريفها للعلمانية :

هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا وحدها ، وذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر ، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت العلمانية تعرض نفسها من خلال تنمية الزعة الإنسانية ، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة ، وظل هذا الاتجاه يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث باعتباره حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية .

ويقول المعجم الدولي الثالث الجديد في تعريف العلمانية: اتجاه في الحياة أو في أي شيء خاص يقوم على مبدأ أن الدين والاعتبارات الدينية يجب ألا تتدخل في الحكومة، واستبعاد هذه الاعتبارات استبعاد مقصود، فهي تعين مثلاً السياسة اللادينية البحتة في الحكومة، وهي نظام احتماعي في الأخلاق

مؤسس على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظـــر إلى الدين .

وجاء في معجم حديث للعلوم الاجتماعية (للدكتور حسا رزق) في تعريف العلمانية :(علماني نسبة إلى العلم بمعنى العالم وهو خلاف السديني أو الكهنوتي وهذه تفرقة مسيحية لاوجود لها في الإسلام ،وأساسها وجود سلطة روحية هي سلطة الكنيسة وسلطة مدنية هي سلطة الولاة أو الأمراء).

هي رؤية للحياة أو في أى أمر معين يعتمد أساساً على أنه يجب استبعاد الدين وكل الاعتبارات الدينية وتجاهلها ، ومن ثم فهى نظام أخلاقي يعتمد على قانون يقول : بأن المستويات الاجتماعية يجب بأن تحدد من خدلال الرجوع إلى الحياة المعيشية والرفاهية الاجتماعية دون الرجوع إلى الدين .

هذا هو مفهوم العلمانية عند الغرب ، ويبدو أن الغرب قد أحس بتأنيب الضمير لهذه القسمة الضيزى ، فأخذ يبحث عن مبررات لهذه القسمة فوجد نصاً في إنجيل لوقا في الإصحاح العشرين منه يقول :

((فراقبوه (أي عيسى عليه السلام) وأرسلوا حواسيس يتراءون ألهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالى وسلطانه ، فسمالوه قائلين : يا معلم تعلم أنك بالاستقامة تتكلم ولا تقبل الوجوه بل بالحق تعلم طريق الله أيجوز لنا أن نعطي جزية لقيصر أم لا ؟ فشعر بمكرهم ، وقال لهم

لماذا تجربوني؟ أروني ديناراً لمن الصورة والكتابة ؟ فأحابوا وقالوا لقيصر فقال له : أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله)) .

وفي إنجيل متى الفصل الثاني والعشرين يقول:

((حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة ، فأرسلوا اللهم تلاميذهم مع الهيروديسيين قائلين : يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس فقل لنا ماذا تظن أيجوز أن نعطى الجزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع حبثهم وقال : لماذا تجربوني يا مراؤون ؟ أروني معاملة الجزية ، فقدموا له ديناراً ، فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا : لقيصر . فقال لهم أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)) .

وجاء في إنجيل مرقص الإصحاح الثاني عشر :

((ثم أرسلوا إليه قوماً من الفريسيين والهيروديسيين لكي يصطادوه بكلمة فلما حاؤوا قالوا: يا معلم تعلم أنك صادق ولا تبالي بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس بل بالحق تعلم طريق الله أيجوز أن نعطى حزية لقيصر أم لا نعطه ؟ فعلم رياءهم وقال لهم: لماذا تجربوني ؟ ايتوني بدينار لأنظره فأتوا به ، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا: لقيصر ، فأحساب يسوع وقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)) .

وإذا صح هذا النص عن عيسي عليه السلام ، فليس هذا دليـــل علــــي الفصل بين الدين والدولة ، فاليهود – عليهم لعنة الله – كانوا يريـــدون أن يوقعوا المسيح عليه السلام في أن يخطئ في قيصر ثم يسلموه إلى قيصر فيقتله ، فعلم المسيح عليه السلام خبثهم ، وأنهم لن ينتفعوا بالحق إذا قاله لهم صريحاً ، فقال لهم كلاماً لا يتضرر بسببه ، وهو في ذات الوقت صحيح وحق بل على عكس مرادهم ، وأنه لا يجوز أن يصرف حق الله في الحكم والتشريع لأحد ، حتى ولو كان قيصر ، كيف لا وبنو إسرائيل أنفسهم لم يعرفوا هذه القسمة، ولقد كانت الأنبياء تتعاقب عليهم كلما هلك نبي قام مكانه آخر يقسول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلاِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا ثُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] ، في هذه الآية دليل واضح على أن أهل الإيمان من بني إسرائيل كانوا هم المهيمنين على الملــوك والقـــادة ، وأن الأنبياء هم الذين كانوا يسوسون بني إسرائيل ، ولذلك جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَسُوسُهُمُ أَنْبِيــَاؤُهُمُ ﴾ قـــال في لسان العرب شرحاً للحديث : أي تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والــولاة بالرعية .

وبغض النظر عما إذا كان عيسى عليه السلام قال هذا أم لا ، وبغض النظر أيضاً عما إذا كان هذا هو الفهم الصحيح للنص ، فإن الغرب النصراني وحد في دينه مبرراً لهذه القسمة . verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الإسلام والمسلمون فلم يعرفوا هذه القسمة أبداً ، بل عرفوا من دينهم أن الإسلام دين ودنيا ، ومصحف وسيف ، وشريعة للحياة وعبادة ، وعلموا أن الذي يعطي حق التشريع والحكم لغير الله يصير مشركاً مما سنبينه في حكم الإسلام في العلمانية بمشيئة الله .







سقوط العلمانية

قد يبدو هذا العنوان مثيرا وغريبا على كثير من الناس ، ففي الوقت الذي تكتسح فيه الحضارة الغربية التي تمثل العلمانية ، تكتسح الحضارات الأخرى بمفاهيمها وتقاليدها ونظمها ، وفي الوقت الذي الهارت أمامها أكبر القوي ونقصد به الاتحاد السوفيتي بينما هي صمدت بل يرى كثير من الناس ألها ازدادت قوة وتمكينا ، أقول : في هذا التوقيت يخرج علينا من يقول بالهيار العلمانية التي تمثلها تلك القوى الجبارة وتدافع عنها حتى خارج حدودها في معظم بلدان العالم خاصة بلاد المسلمين ليس بالاستعمار المباشر الذي ولى ولكن بالمؤامرات وتنصيب العملاء الذين ينفذون مخططاقم بدقة وإتقان .

ولكننا نحن المسلمين نعلم أن هذه القوى المنتفشة هي الزبد الذي قال عنه ربنا سبحانه : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَدْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧]

ونعلم كذلك أن بداية انحيار الشيوعية هى نفسها بداية انحيار العلمانية ، ولابد ، فإنحما كجناحى الطائر ما إن يقصسس منهما جناح حستى يسقط ويهوي الطائر نفسه بعد ذلك .

إن الشيوعية هي إحدى إفرازات الحضارة الغربية وثمرة من ممراتها الخبيشة التي أينعت ، ولا تختلف الشيوعية عن الغرب والعلمانية إلا أن روسيا قلم خلعت حلباب النفاق والحياء والزور ونفذت ما تؤمن وتعتقد به علمانية

الغرب منذ زمن طويل في الأخلاق والاجتماع ، وكل مــا فعلتــه روســيا الشيوعية ألها أرادت أن تسرع الخطا لتطبق ما تعلمته من الغرب العلمــاني ، وتقود به العالم ، وما الصراع الذي كان بينهما إلا صراع وتقاتل داخلي على من يقود وعلى من يكون الزعيم.

يقول كونستانتان جورجيو: (إن هذه الحرب التي تسمى الحرب العالمية الثالثة ليست حرب الغرب ضد الشرق ، وبعبارة أوضح إنها ليست حرباً على الإطلاق حتى ولو امتد خط القتال من قطب إلى آخر وغمر الأرض كلها ، إن هذه الحرب ليست إلا ثورة داخلية في نطاق المجتمع الآلي الغربي) .

سؤال : لكننا نحارب الشرق وأوروبا الشرقية كلها ؟

حواب : هذا خطأ إنكم أنتم الغربيين تقاتلون فرعاً مـــن أكثـــر فـــروع الحضارة الآلية الغربية تقدماً .

لقد نقلت روسيا كل نظرياتها من الغرب ، وكل ما عملته هو أن طبقت تلك النظريات ، لقد حولت روسيا الإنسان إلى صفر كما تعلمت من الغرب أن تحوله وحولت المجتمع إلى آلة هائلة كبيرة ، كما تعلمت ذلك من الغرب أيضاً ، لقد قلدت روسيا الغرب كما لا يستطيع أن يقلده إلا البرابرة والمتوحشون ، إن ما هو روسي حقيقة مما أضيف إلى المجتمع الشيوعي لسيس

إلا الوحشية والبربرية ، إن هذا كل ما للروس من أشياء تخصهم وما تبقيى جاء من الغرب .

ثم يواصل جورجييو كلامه :

((إننا إذا استثنينا التعطش إلى الدم والبربرية في روسيا وجدنا كل شيء قد نقل بأمانة عن الغرب .

أما أنتم فإنكم تحاربون هذه الظاهرة من المدنية الغربية الفرع الشيوعي من المجتمع الآلي الغربي .

ولهذا فإن هذه الحرب الثالثة ليست إلا ثورة داخلية انفجرت في صميم المجتمع الآلي ، إن الفرع الأوروبي الأطلنطي من المجتمع الغربي يحارب الفروع الشيوعية الغربية ، إلها حرب داخلية ناشئة بين طبقتين في مجتمع واحد ، إن الشرق لا يساهم في الثورة الداخلية

إن أيا كان خارج المحتمع الآلي الغربي لا يساهم في هذه النسورة ، ولما كانت هذه الثورة غربية بكل عناصرها فإنما ليست لمصلحة الإنسان ، إن المحتمع الغربي لا يحفل بالإنسان)) (١) .

⁽١) تمافت العلمانية ص ١٩٣.

يقول صحفي غربي :

((إن الشيوعية أفضل من الإسلام ، لألها في الأصل فكرة غربية يمكن الالتقاء معها، أما الإسلام فلا التقاء معه ولا تفاهم إلا بلغة الحديد والنار)) (١) .

هذا ما كتبه غربيون عن فرع من فروع الحضارة الغربية ، ولكن ماذا حدث لها ؟ الذى حدث لها ألها الهارت وتساقطت كتساقط أوراق الشحر في فصل الخريف بعد أن ظن كثيرون ألها ستكتسح العالم كله ، ولن يقف في وجهها شيء.

لقد مرت على المسلمين فترات عصيبة ظن كثير من أعداء الله أنه لن تقوم الإسلام بعد ذلك قائمة ، فالشيوعية تكتسح ، ومن قبلها كانت الصليبية ، والذي يطالع ما كان يكتب يحدث له نوع من التشاؤم بمستقبل الإسلام والمسلمين فالإسلام محاصر ، وبلاد المسلمين معظمها محتل ، ثم حاءت الشيوعية تكتسح معاقل المسلمين القوية .

((حاءت الاشتراكية والقومية والوطنية والديمقراطية والحريـــة وفلســـفة التطور واللادينية وغيرها من المسميات والشعارات وسرت عـــدوى هـــذه الأوبئة سريان النار في الهشيم ، وتغلغلت في العقول والقلوب الـــــى فقـــدت رصيدها من لا إله إلا الله أو كادت ، وترتب على ذلك أجيـــال ممســوخة

⁽١) صحيفة شيكاغو اليومية ١٩٧٩م.

هزيلة أخذت على عاتقها مهمة تعبيد أمتها للغرب والإجهاز على منابع الحياة الكامنة فيها)) .

وسرت في مطلع هذا القرن حقبة مظلمة راجت فيها ســوق الأفكــار الموبوءة والمذاهب المنحرفة حتى أظهر أعداء الإسلام تفاءلهم بأن هذه الأمــة ستلفظ أنفاسها عما قليل (١).

فالعلماء المخلصون يطاردون ، ويعلقون على أعواد المشانق ، والدعاة إلى الله يضربون على أيديهم ويسكتون وأهل الباطل يفتح لهم المحسال في جميع وسائل الإعلام ومواقع اتخاذ القرار ويوسع لهم الطريق ،

يقول الأستاذ محمد أحمد باسمبل: ((فبعد أن كانت روسيا وبكين هي المقر الوحيد لقيادات الدعوة الصريحة إلى الإلحاد وعاربة الإسلام وكل دين سماوى ، أصبح اليوم في العالم العربي وفي دمشق والقاهرة باللذات قيادات للإلحاد تشن الحرب السافرة على الإسلام وعلى كل قيادة تدعو إلى الإسلام، وبعنف وضراوة يقصر دونهما أحياناً عنف وضراوة أعداء الإسلام الملحدين أنفسهم في موسكو وبكين)) .

والغريب أنهم مع هذه الحرب السافرة يصرون على أنهم مسلمون بل وألهم على الإسلام الحقيقي .

⁽١) العلمانية لسفر الحوالي .

ثم يشاء الله القدير أن تنكسر هذه الموجة وهذا الطوفان بطريقة شاذة وينسحب بأسلوب غير منظم ويصبح أثراً بعد عين ، وتاه الشيوعيون والملحدون العرب لأنهم فوحثوا بما لم يكن في حسبانهم ، ونزل عليهم الهيار الشيوعية كالصاعقة حتى قال قائلهم :

أهل اليسار ياليل فاتوا مضاجعهم اتبعزؤوا ياليل صحبة وأنا معهم

ووجدنا من يكتب منهم في الصحف بالإسراع لإنقاذ الاتحاد السوفيتي من التفكك والانحيار من الدول الغنية ، حتى لا ينفرد الغرب بنا ، وما درى المسكين أن هذه بداية النهاية للاثنين معاً .

لم تستمر حيرة الشيوعيين طويلاً، ونظروا يمنة ويسرة هل يراكم من أحد ؟ ثم انصرفوا إلى المقابل إلى العلمانية، لم ينتظروا حتى ينسسى النساس دعوقم السابقة وانحيازهم الماضى، واختيارهم القديم ولكن بحثوا ونظروا والتفتوا في دهشة وحيرة فلم يجدوا إلا الإسلام والعلمانية ، ولما كانوا من قديم يبغضون الإسلام ونظافته واستقامته لأنه وكما قيل فيهم بحق إن إلحادهم كان إلحاد فرج وبطن .

فقد وجدوا أن يركبوا العلمانية قريبة الشبه من الشيوعية ، خاصة أن لها أنصاراً وحضارة قائمة ، وتكفل الدولار كي يضفي عليهم الاحترام .

فتنادوا بالمجتمع المدني ، ورفعوا شعارات العلمانية : السدين لله والسوطن للجميع ، ودع ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

ويقول في موضع آخر : ((والدليل على نجاح الملحدين من يكتب على صفحات الجرائد وبطون المؤلفات جهاراً نهاراً ، وفي قلب العالم العربي أن الله خرافة ، وأن الله الحقيقي هو الذرة المتحفزة ، والصاروخ المنطلق)) إلى أن يقول :

((يضاف إلى هذا نجاح القيادات الماركسية الرئيسية في الاتجاه بإقامة مؤتمرات واتحادات عالمية وثقافية وسياسية وعمالية ، فقد سيطروا على اتحاد طلبة العالم واتحاد الكتاب الآسيويين والأفريقيين واتحاد الحامين العرب ونقابات العمال ومؤتمرات العالم الثالث الذي عقد في كوبا وغيرها من المنظمات والاتحادات العديدة التي تبناها الماركسيون)) (۱) ،

ففي بلد مثل مصر رأس الحربة للمسلمين سيطروا على كــل ومعظــم النقابات تقريباً ، واتحاد الطلبة ووسائل الإعلام وصبغوها صبغة ماركسية ، وهجر الشباب المساجد ، وأصبح من النادر أن تجد شاباً محافظاً على الصلاة خاصة في الجامعات إلا وأشبع سخرية واستهزاء ، وأصبح المؤمن يســتخفى بإيمانه .

لقد احتاحت المبادئ الشيوعية الإلحادية كثيراً من مناطق العالم وبخاصة في بلاد المسلمين ، واستولت على مراكز مهمة ، وسادت موجة عظيمـــة مــن الشك في الدين ومدى صلاحيته نتيجة لهذه الموجة العاتية .

⁽١) ندوة المحاضرات .

في نفس الوقت الذي يقولون فيه بخبث ألهم يحترمون الدين الذي كالوا يلحدون فيه بالأمس، وساعدهم على ذلك نفوذ الغرب وسيطرته، وفي نفس الوقت مراكزهم في وسائل الإعلام التي تفسح لهم الطريق وتشجعهم وبعد أن كانوا متحمسين ومتعصبين للشيوعية أصبحوا وبنفس القوة متحمسين للعلمانية وإبعاد الإسلام عن أن يأخذ دوره الحقيقي بعد الهيار الشيوعية، ولكن الذي ينظر ويتأمل يجد أن حضارة الغرب المادية بفرعيها الإلحادي والعلماني في طريقها للانهيار النهائي، وإن كانت الشيوعية سقطت سريعاً ؛ لأنها لا تتلاءم على الإطلاق مع الفطرة ، فإن العلمانية والحضارة المادية سوف تلحق ما سريعاً بإذن الله ﴿ وَعْدَ اللهِ لا يُخلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِسَ المادية سوف تلحق ما سريعاً بإذن الله ﴿ وَعْدَ اللهِ لا يُخلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِسَ المادية سوف تلحق ما سريعاً بإذن الله ﴿ وَعْدَ اللهِ لا يُخلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِسَ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِسَ اللهُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٢].

- ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ تُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦] .
- ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَحَدْنَاهُمْ بَلْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الانعام : ٤٤] .
- ((إن حضارة لا تعتمد سوى العلم في حركتها ، هي حضارة عرجاء تسير على ساق واحدة ولابد للأعرج أن يسقط في يوم من الأيام .

إن حضارة لا تلتزم إلا بالعلم في تقدمها ، إنما هي حضارة لا تملك سوى عين واحدة بعد أن اختارت بنفسها أن تفقاً عينها الأخرى ، ولابد لإنسان لا يبصر إلا بعين واحدة ، أن يفقد الرؤية الواضحة ويسقط في يوم من الأيام .

إن ثورة الإسلام ، وكفاح الأنبياء هو لإقامة حضارة سليمة تمشي على ساقين وتبصر بعينين ، حركة ضد العمى والكساح الذى اختارتــه دائمــاً حركات العلمانيين لاستعباد الناس من دون الله .

إن أمة لا تمشي إلا بساق واحدة ولا تبصر إلا بعين واحدة من السهل أن تقاد كما تقاد الأغنام وراء حزاريها حتى ولو انتهى الأمر بما إلى الذبح.

إن دعوة الإسلام صرخة رجاء بوجه البشرية أن تتمرد على أرباهــــا وأن تستعيد سيرها الطبيعي ورؤيتها الكاملة للأشياء ، وهل يتم ذلك إلا بالعودة إلى منهج الله وقيم الله ؟)) (١)

يقول أحد الباحثين عن خطورة الفصل بين العلم والدين :

إن العلم يواجه ورطة شديدة ، فالعلم هو البحث عن الحقيقة ، وأساس العلم العقيدة الراسخة بأن الحقيقة تستحق الاكتشاف وأن البحث عنها إبحا ينبع من أشرف صفة من صفات الروح الإنسانية ، ومع ذلك فهذا البحث عن الحقيقة هو نفسه الذي جعل حضارتنا تقترب من حافة الدمار .

وعندما نواجه الآن السخرية التي تحولت إلى مأساة ، وهي أنسا كلما نجحنا في توسيع آفاق معرفتنا كان ذلك نذيراً بقرب الخطر المذى يهدد بالقضاء المبرم على الحياة البشرية على هذا الكوكب ، فهمذا السعي وراء

⁽١) تمافت العلمانية .

الحقيقة أمدنا في آخر الأمر بالأدوات التي تمكننا من هدم بحتمعنا بأيدينا والقضاء على كل الآمال المشرقة لجنسنا ، ما عسانا فاعلين في هذا الموقف : هل نكبح جماح العلم أم نتمسك بطلب الحقيقة ؟ رغم ما في ذلك من تمزيق وتبديد لمجتمعنا (١) .

ولقد شعر كثير من مفكرى الغرب وقادته بفداحة الجريمة في حضارهم العلمانية عندما فصلوا بين العلم والحياة من ناحية وبين الدين مسن ناحية أخرى، وما جره عليهم ذلك من تفكك أسري والهيار أخلاقي وشدوذ وانحراف وأمراض نفسية وخواء روحي ، وشرع العقلاء منهم بمحاولة إنقاذ السفينة من الغرق والعودة إلى الأسرة والدين والتدين ؟ لألهم يشعرون بتعاسة رغم البهرجة التي يعيشون فيها ، حتى قالت امرأهم الحديدية : ((إننا نعيش أيامنا رغم المظاهر التي توحي بغير ذلك)).

يقول المفكر (أرنلد توينبي):

((إن مستقبل الإنسانية يتوقف على إخوة روحية لا يمنحها إلا الدين وهو الشيء الذي يحتاج إليه الإنسان في هذا الوقت إنه يجب علينا أن نختار إحدى النتيجتين في عصر الذرة ، وإننا إذا أردنا أن ننقذ أنفسنا من الهلاك والدمار فينبغي أن تتحصن الإنسانية كلها من غير استثناء وتتعلم كيف تعيش كأسرة واحدة ، وذلك يتوقف على أخوة روحية لا يمنحها إلا الدين)) .

⁽١) من كتاب : العلم وأسراره وخفاياه .

يكتب الدكتور عماد الدين خليل في كتابه القيم (تمافست العلمانية) فصلاً من الشهود على فشل الحضارة الغربية وفشل العلمانية أن تكون بديلاً عن الدين بشهادة كبار المفكرين الغربيين ، وسأكتفي بأن أنقل بعض الشهادات من كلام المفكرين الغربيين على فشل حضاراتهم وسيرها نحو الهاوية .

يقول في المقدمة عن كتاب (سقوط الحضارة) لمؤلفه كولن ولسون : يعد كولن ولسون بلا جدال من أبرز شهود القرن العشرين على ما تعانيه الحضارة العلمانية من تأزم وعدم توازن ، ليس بتركيزه وتنسيقه لشهادات حشد كبير من علماء أوروبا ومفكريها وفنانيها الكبار فحسب ، بل إنه استطاع كذلك أن يضع يده كالطبيب المتمرس الناجع على مصدر الداء وقال بصراحة : هنا يكمن الداء ونادى بأعلى صوته :

إن حضارة تعتمد العلم دون الدين ، حضارة لايمكن أن تظل طويلاً ؛لأن الأجواء التي تخلقها ليست بتلك التي يتلاءم معها الإنسان الواعي المحرب .

يقول (كولن ولسن) :

إن الغرض من تأليف الكتاب (سقوط الحضارة) هو أن أقول شيئًا عن حاجة هذا العصر إلى دين جديد (أي غير الذي عرفته أوروبا)، وأنه إذا أردنا أن نعرف الدين وجدنا أنه يعني أكثر من مجرد جماعة من المتدينين، إنه

يعني مكاناً عاماً للعبادة ، ومن أجل ذلك أعلى بوغسون الفليسوف الفليسوف الفرنسي عندما تحدث عن المدنية : إن فصل الدين عن العلم هو فناء محتوم للاثنين معاً .

مرت سنوات ويقول (ولسون): وأصبح الشخص القلق الــذى سميتــه اللامنتمي (هو الرجل الذى يسيطر عليه مفهوم تفاهــة الحيــاة) أصــبح اللامنتمي هو بطل عصرنا،وكنت أنظر إلى حضارتنا نظرتي إلى شيء رحيص تافه باعتبار ألها تمثل إنحطاط جميع المقاييس العقلية،وبعكس ذلك فقد لاح لي اللامنتمي الرجل الذي يشعر لأي سبب كان بالوحدة وسط جمع من الذين لا يبلغون مترلته،وكان اللامنتمي كما تصورته إما بحنوناً أو قديساً طالمــا لا يهمه إلا أن يحصل على لحظة واحدة يستطيع أن يفهم كما العالم ويكتشــف أسرار الطبيعة والله.

وكنت كلما تغلغلت في دراسة اللامنتمي شعرت بأنه ليس غير عرض من أعراض هذا العصر ، أما من حيث الجوهر فهو عاص ، وأما سبب عصيانه فهو انعدام الجانب الروحي من حضاراتنا الغنية مادياً .

ولم يكن أمراً شديد الأهمية أن أستنتج أن اللامنتمي هو عرض من أعراض تدهور الحضارة ، لأن اللامنتمين يظهرون كالبثور على حلم الحضارة .

ويميل الإنسان إلى أن يكون على طبيعة محيطه ، فإذا كانت الحضارة مريضة روحياً فإن الفرد ذاته وإن كانت صحته تساعده على تحمل أعباء الكفاح فإنه يصبح لامنتمياً .

ويمضى كولن ولسون قائلاً :

إن مدى الفعالية العادية في حضارة حديثة يبنى حداراً حول حالة الإدراك العادية ويجعل النظر إلى ما هو وراء ذلك مستحيلاً .

إن الظروف التي نعيش فيها تفعل ذلك بنا ، وهذا هو الذي يحدث في أى حضارة صاحبة كالدينامو لا تفسح مجالاً للدعة والتأمل ، ويبدأ الناس يفقدون الشعور الداخلي بأشكال الكينونة اللامعروفة ، وبمعني الهدف الذي يمكن أن يجعلنا أكثر من مجرد خنازير كفؤة جداً وهذا هو الرعب الذي يثور اللامنتمي ضده .

إن (كولن ولسون) يضع يده منذ اللحظات الأولى على الأساس العميق لمشكلة اللانتماء ذلك هو ((انعدام الجانب الروحي في حضارتنا الغنية مادياً والبحث عن الهدف الذي يجعل من الناس أكثر من محرد خنازير كفوة حداً)).

وهل المسار الذي تسلكه الحضارة الغربية الآن سوى تأكيد للمادية وقضاء على آخر ما تبقى من النشاطات الروحية ، وسعي حثيث من أجـــل خلـــق مجتمع الخنازير التى تتميز بكفاءة فذة في توجيه فاعليتها الشيئية وقدرة عجيبة على الاستجابة لدوافعها الجسدية ولكن دون أى كفاءة أو قدرة على إيجاد علاقات روحية أو إشباع دوافع الوجدان .

إن الهدف الذي تحثو حضارتنا المعاصرة خطاها إليه مرعب حقاً ،أن نتحول جميعاً إلى خنازير تتميز بطاقة هائلة على الأداء المقنن والإنتاج السريع، ولكنها لا تستطيع أن تمد عينها إلى الأمام أو أن تلتفت إلى الوراء لكي تعرف الخطوة اللاحقة التي ستخطوها والسابقة التي خلفتها وراءها ؛ لأن معرفة هذه لا تخدم أبداً منطق الأداء المقنن والإنتاج السريع طالما أن التشوف إلى الأمام قد يقود إلى ما وراء الواقع القريب من قيم وأهداف روحية ، وطالما أن الالتفات إلى الوراء قد يقود إلى البحث في تاريخ المسيرة البشرية وفحص حسناتها وسيئاتها ، وهو أمر له صلة ما بالروح والطموح الإنساني .

يقول أرنولد توينبي :

قد أغرت فنون الصناعة ضحاياها وجعلتهم يسلمونها قياد أنفسهم ببيعها المصابيح الجديدة لهم مقابل المصابيح القديمة .

لقد أغوتهم فباعوها أرواحهم وأخذوا بدلاً منها السينما والراديو ، وكان نتيجة هذا الدمار الحضاري التي سببته تلك الصفقة الجديدة ، إفقارا روحيساً وصفه أفلاطون بأنه مجتمع الخنازير .

يقول توفيق الحكيم في كتابه (شمس الفكر):

الذكاء ليس بالمزية التى المحتص بها الإنسان وحده ، والنظام الإداري المحكم أو الاقتصادي الكامل ليس وقفاً على المجمتع البشرى ، فإن مجتمع النمل لأدق منا إحكاماً في الاقتصاد ولكن الذي يميزنا نحن معاشر البشر هو الإيمان ، ما من مجتمع غير مجتمعنا البشرى اهتدى إلى ذلك الإيمان الديني ، لأن حياة الروح لم يلج بابحا بعد غير الإنسان .

يقول ولسون:

انعدام الشعور بالأمن وعدم القدرة على التعبير عن النفس دافعان آخران من دوافع التمرد اللامنتمى ، أما الأول فلأن الحضارة الغربية لم يعد يهمها أي شيء عن المصير وكأن فرصة السنوات الستين أو السبعين ، وما يقدمه الإنسان فيها من إنتاج وما يحصل عليه خلالها من إشباع هي كل ما هنالك ، وليس وراء ذلك أي مصير سوى تسليم الدور أو وليس وراء ذلك أي مصير سوى تسليم الدور أو بالأحرى مساحة الأرض في مدينة ما من المدن أو مصنع ما من المصانع أو مزرعة ما من المزارع أو سوق ما من الأسواق من إنسان لآخر لكي يقضى عليها فرصته هو الآخر إنتاجاً وإشباعاً ليس وراء ذلك أي مصير ، جنة وارفة كان المصير أو نار محرقة.

يقول ولسون :

حقاً إن الذين يقتنعون بمعطيات الحضارة المعاصرة ، طعامـاً وشـراباً وملبساً وسكناً واتصالا جنسياً وسفراً ومطالعـات سـريعة ومشــاهدات ولقاءات عابرة ، والذين تتعبدهم تيسيرات هذه الحضارة من سيارات وثلاجات ومكيفات هواء وآليات الهدم والبناء ، والذين تأسر أنظارهم منجزاتها التقنية والفنية والعمرانية دون أن ينبض وجدالهم يوماً هنزة حنن عميق أو فرح طاغ ودون أن تتمخض مطامحهم الروحية عن أمل كبير أو مصير عظيم ، ودون أن يبذلوا جهداً في مزيد من التركيز الذهني من أحسل معرفة مكان الإنسان في الكون والمآل الذي ستقوده خطواته إليه .

إن ناساً كهؤلاء ليسوا أكثر من مرضى وأنصاف رجال ؟لأن الإنسان كما أنه بالإنجاز المادي والإشباع البيولوجي فإنه كلف بحلك بحدان وتمخض الروح وذهاب الفكر بعيداً بحثاً عن القيم والأهداف التي لا تلمسها الأيدى ولا تدركها الأبصار.

إن أريلكه الشاعر الألماني يسأل: هل من المحتمــل أنــه بــالرغم مــن اكتشافاتنا وتقدمنا فإننا مازلنا على سطح الحياة ؟

هل من المحتمل أن تاريخ العالم كله قد أخطئ فهمه ويجيب على كل سؤال : أجل إن ذلك محتمل ؟

وتلك هي صورة من صور المأساة العلمانية ، إنها تميئ أجواء غير صالحة للرجل الكامل الصحيح ، ومن أجل ذلك يثور اللامنتميي ضد النصفية والمرض وهو يشعر بالاحتقار ، لكن تطرفه في رد فعله وعدم قدرته ذاتياً على

التوصل إلى الدين أو المنهج الذي يضبط ثورته ويصوغها ويوجهها في الطريق الصحيح قد يدفعه آخر الأمر إلى الجنون.

يقول ولسون :

إن الجنوح المادي الذي تعانيه الحضارة الغربية، والذي انعكس على الإنسان تمزقاً في وحدة ذاته وشللاً أصاب نشاطه الروحي، هذا الجنوح قد عدداً من الباحثين الغربيين إلى القول بحتمية سقوط تلك الحضارة السي اختارت الكساح بدلاً من الانطلاق على قدمين ، والتي أبت إلا أن تممل أو ترفض تلك الطاقات الروحية الخلاقة التي بها يمتلك الإنسان القدرة على تغيير ذاته وامتلاك زمام نفسه، وبالتالي امتلاك زمام العالم بأسره ، ويقف ((سبنجلو)) دون منازع على رأس القائلين بالسقوط، وإذا أردنا أن نلخص الأشياء التي نتعلمها منه فإنها تتمثل في أنها حضارة متدهورة، وأن أعراض تدهورها تتمثل في الفلسفة التجريدية التي يعرفها ((بليك)) بألها تحول البشر إلى أقزام .

إن الحضارة الغربية هي في جوهرها حضارة لا انتمائية .

أما مادية اليوم فإنها علامة على تصلب شرايينها بيد أن سبنجلر يقول :

إنه ليس هنالك من مهرب ، إننا الآن في آخر مراحل التدهور ويجب علينا أن نؤمن بهذا ، وليس هنالك أى احتمال في ظهور دين جديد أو فلسفة جديدة (يعنى للإنقاذ) لأن تربة الغرب منهوكة ميتافيزيقيا .

إن التاريخ الحديث يتجه نحو التدهور ، وليس في استطاعتنا أن ننظر اليه وكأننا سنعيش أبداً .

إن تاريخ سبنجلر يتصف بما يتصف به الوصف الطبى للأعراض ، وإنسا لنقر بأنه يعتبر تدهور حضارتنا أمراً لا مفر منه تماماً كما يعتقد طبيب بأن موتنا لا مفر منه .

ونمضى مع كولن ولسون في استعراضــه للخطــوط العريضــه لحتميــة (سبنجلر) مقارناً إياها بما طرحه مفكرون غربيون آخرون في هذا الجال . إن كتاب شوبنهاور (العالم كإرادة وفكرة) وكتــاب (تـــدهور الغــرب) متشاهان لدرجة أننا نستطيع أن نعتبرهما شقيقين أدبيين .

وقد قال (سبنجلر): إن الحضارات تشبه البشر ؛ لأنها تولد وتنمو وتنضج وتموت ، ويتكون البشر من حجيرات بيولوجية ، أما الحضارات فإنها تتألف من البشر الذين يموتون وتخلفهم أحيال حديدة تماماً كالحجيرات التي تتغير في أحسامنا كل ثماني سنوات .

التقدم: لا تقدم هنالك فكما أن كل جيل من البشر لا يقل حمقاً عن الجيل الذي يسبقه فإن الأمر كذلك في الحضارات ، الهدف : لا هدف هنالك وإنما هي عملية بيولوجية كالحياة نفسها ، وهنا نأتي إلى أساس اللامنتمي فهو يرفض أن تكون الحياة بحرد تكرار لا معنى له من التفاهات الإنسانية .

إن توافق عصر لا ديني مع فكرة مدنية عالمية توافقاً محكماً يعني أن ذلك العصر هو عصر تدهور ، ويتنبأ سبنجلر بعصر من الشك التام وبان هذا العصر سيكون المرحلة الأخيرة من الحضارة الغربية .

وهو يقول :

إن هذه المرحلة النهائية حتمية بالنسبة للتاريخ الغربي ، وهو يعتقد مشل (ه ج ولن) بأنه لا طريق هنالك إلى الخسارج أو إلى مسا حسول أو إلى الداخل ولكن سبنجلر كسان في بعض الأحسوال أقسرب إلى (شوبنهاور) منه إلى (نيتشه)، لأنه لم يبن نظرته المتشسائمة إلى التساريخ علسى العقسل والملاحظة وإنما كان يمثل رد فعل ضد عصره كغيره من الأنبياء وقد ساقه إلى التطرف ما رآه من الضحالة حوله وما لمسه من الكسل الروحي (١) .

لقد اختصر (الفرنورث وايتهير) نظرية (غوته وسبنجلر) الضخمة عن الهيار الغرب في كلمة واحدة : تجزئة الطبيعة أي افتعال التصادم بين ما هــو نظري وما هو منطقي، وما هو طبيعي ، وما هو غير طبيعــي ، ومــا هــو روحي، وما هو مادي (٢) .

يقول ولسون : ولا نريد المضي في استعراض وجهة نظر سبنجلر في المحضارة المعاصرة ، لأن هذا يقودنا إلى تفسير وفلسفة التاريخ مما ليس لـــه علاقة مباشرة ببحثنا هذا .

⁽۱) تمافت العلمانية ، ص ۱٤٣ .

⁽٢) العلمانية لسفر الحوالي ، ص ٦٩٨.

المهم هو أن نطلع باختصار على رأى واحد من عدد من المؤرخين يرون أن المسار الذى تنتهجه الحضارة العلمانية المعاصرة سيقودها إلى التدهور والسقوط ، وقد أدى هذا الرأى ببعضهم إلى الإغراق في التشاؤم حيث لا مناص من أن يسلم الغربيون بأن زمن سقوط حضارتهم قد اقترب وأنه لا مفر (١) .

يقول سبنجلر:

((ونحن نحب أن ننبه أننا حين نستشهد بكلام المفكرين الغربيين ونقتطف من كلامهم ، إنما نفعل ذلك أولاً : لأنه وافق ما عندنا من حق ، وثانياً : إنما نخاطب العلمانيين بلغتهم وليس ذلك إقراراً بصحة كل ما يقرروه ، فإن عندنا من كتاب الله وسنة رسوله ما يغنينا عما سواه بما رسم لنا الطريق ووضع لنا المسالك ونحاية ومصير كل من الخير والشر)) .

يقول ولسون :

إن ما يجب على الإنسان أن يفعله هو أن يجاول أن يفهم العالم ، ولـــيس العالم ما يحيط به من كون فقط وإنما هنالك كون آخر خلف عينيه أيضـــاً ،

⁽١) تمافت العلمانية .

⁽٢) طه عبد الباقي سرور : دولة القرآن ، ص ٣٦ .

وكل ما يحتاج إليه الإنسان هو أن أن يفترض شيئاً ليعمـــل في ضـــوئه ، أن يؤمن بشيء ليمنحه ذلك هدفاً ، والمحك الأخير لقيمة هذا الإيمـــان هـــو أن يعمل .

لقد كان الإسكندر الأكبر يؤمن بشيء منحه قوة هادفة هائلة ، إذ آمن بأنه سيحكم العالم كله ، ولما حكم العالم حلس يتساءل يائساً : ماذا سأفعل الآن ؟ .

أجل ، هذا هو محك كل إيمان ، فإذا انتهى مفهوم الهدف عند حد معين فإنه ليس هدفاً حقيقياً ، إذاً ليس هناك هدف نهائي .

((ولكن الدين يمنح الإنسان الهدف النهائي ، الهدف الذي لا ينتهي حتى ولو عاشُ مليوناً من السنين ...)) .

إلى أن يَقُول : ((إن الإنسان ليس كاملاً بدون دين ...)) .

إن الدين هو مقياس البطولة ، ورمز حاجة الإنسان للكفاح مـــن أحــــل الفهم وفشل الدين والحروب العالمية متلازمان حتماً .

ولكن عن أي دين يبحثون ؟ هل هو العودة إلى المسيحية أو العــودة إلى الكنيسة؟ لنترك (ولسون) يحدثنا :

لقد ذهب (نيومن) إلى أبعد من حل شخصى ؛ إذ إنه أراد أن يحل مشكلة اللامنتمي ، لقد كان يدرك المشكلة العظمى مشكلة جعل الدين

صحيحاً متفقا مع الحضارة ، وكتب في موعظته المشهورة أنه بدأ يشعر بأن الكنيسة الكاثوليكية قد تشمل العالم ثانية وتستعيد السلطة التي كانت لها في القرون الوسطى ، وقد يكون هذا ممكناً من الوجهة النظرية ، ولكن غير محتمل في عالمنا هذا ، عالم القنبلة الهيدروجينية والأيديولوجيات المتناحرة .

إن المشاكل التي عالجها (نيومن) في القرن التاسع عشر ما تزال معنا في هذا القرن ، كما أن حضاراتنا آخذة بالانحيار التدريجي لأن تلك المشاكل ما تزال بلا حلول .

ويزيد ولسون النقطة الأخيرة إيضاحاً فيقول:

لقد حاولت فقط أن أبين أن بحثنا السابق اللامنتمي يشير الى أن حل القديس بولس (المسيحية) يعتبر أمراً غير مقبول بالنسبة لحضارة في منتصف القرن العشرين .

ترى ما هي حقائق هذه الحضارة ؟

إنما حضارة ذات تطور ميكانيكي عال ورصيد فني كبير ، يسبقها تفكير حر استمر ثلاثة قرون ، ويصاحبها فراغ لا تعرف الحضارة كيف تنفقه .

ويستمر ولسون في توجيه نقده العميق للمسيحية وتقرير أنما لم تعد تملك القدرة على إنقاذ الإنسان والأخذ بزمام الحضارة فيقسول: ((إنما الحقيقة التي أدركها (ن. ي هولمه) أنه بالرغم من أن دين العصور الوسطى أفسح الطريق للإنسانية ، فإن الحل لا يكون بإعادة عقارب الساعة ؛ لأن الحضارة الغربية والكنيسة كانت الإمبراطورية الأولي إمبراطوريسة الإيمان الأعمى ، وحلت محلها إمبراطورية الفكر الحر .

وقد استطاع إنسان واحد في حضارتنا أن يدرك أن الفكر الحر يعود بنا إلى الدين إذا كان حراً وبعيد المدى بالفعل)) .

ثم يقول: إذا كان الدين يعنى الدين المغلق أي مجرد حرافات وطقوس ، فإن العقل يجعل وجوده مستحيلاً ويجب على الدين أن يصبح بالصورة التي يفهمه اللامنتمي كها مجموعة من الحقائق عن هدف الإنسان وعلاقته بالله ، وإذا استطاعت حضارة كاملة أن تفكر كما يفكر اللامنتمي فإن ذلك يعيى الحتفاء اللامنتمي .

وتتلخص رؤية (نيتشه) في أن الأسطورة المسيحية لم تعد قابلة للتصديق، وأن هذه الأسطورة كان يجب أن يعترف دعاة الكنيسة صراحة ألها فقدت أخيراً قوتما المخلصة (١) .

ولنأخذ شهادة (بولتن) على فشل النصرانية وعدم صلاحيتها للعصــر فيقول :

((كان العقل في الرجل العادى في عصر التنوير هو كلمة السر الكبرى لعالمة الجديد ، العقل الذي يسوق الناس إلى فهم الطبيعة ، وهذه هي كلمــة

⁽١) جذور العلمانية ، ص ٧٢ .

السر الثانية الكبرى ، وبفهمه للطبيعة يطوع سلوكه طبقاً لها ، وبذلك يتحنب المحاولات العابثة التي قام كها في ظل أفكار المسيحية التقليدية الخاطئة وما يحالفها في الأخلاق والسياسة مما يناقض الطبيعة والعقل ، يبين أن الرهبانية تعني إسرافاً عظيماً في قدرة الإنسان الإنتاجية ، وأوضح من ذلك أن العقل يبين أنه من غير الطبيعي للكائنات البشرية صحيحة البدن أن تمتنع بتاتاً عن الاتصال الجنسي ، وأن التبرير الديني لمثل هذا السلوك غير الطبيعي كان هراء كهراء فكرة الشياطين التي تستولي على المجنون)) إلى أن يقول :

إن المسيحية التقليدية لم تعد قادرة على أن تمد المستنيرين بنظرية كونية ، فقد بدأ الناس يعرفون ما يكفي من الجيولوجيا لكي يتبين أن تاريخ الخليقة الذي حدده الأسقف (آشو) بعام ٤٠٤م وتاريخ قصة الطوفان بعيد الاحتمال ، ولكن لم تكن هناك حاحة إلى أن ينتظر الإنسان نمو المعرفة الجيولوجية ، خذ مثلاً :

مبدأ التثليث في المسيحية ، إن الرياضة كانت ضد هذا المبدأ ، فــــإن أي نظام رياضي محترم لا يسمح بأن يكون الثلاثة ثلاثة وواحداً في آن واحد .

وينتقد فولتير العقيدة المسيحية في التثليث وتجسيم الإله والصور المقدسة وأنحى باللائمة على (بولس) الذي طمس المسيحية وحرفها .

ولذلك كان الإيمان بالمسيحية في نظره هو الاعتقاد بأشياء مستحيلة تستعصى على الفهم .

أما الخطيئة الأولى فيرفضها فولتير ويعتبرها إهانة لله واتماماً له ســـبحانه بالبربرية والتناقض وذلك للتجرؤ على القول بأنه خلـــق الأجيــــال البشـــرية وعذبها لأن أباهم الأول قد أكل فاكهة من حديقته .

وينتقد (فولتير) الطقوس الدينية السبعة ،ومعلومات التــوراة الجغرافيــة المحرفة .

فيقول عن معلومات التوراة الغير صحيحة : من الواضح أن الله لم يكن قوياً في الجغرافيا (١) .

ونحن نستغفر الله من هذا القول ، ولكن يد التحريف في الكتب السماوية السابقة ، والقول على الله بدون علم أوصلهم إلى هذا الكفر والشك في صحة الدين ، إلهم يبحثون عن دين جديد .قال عنه (ولسون): لا يضيق بالعلم ، يتناسب مع التطور الحضاري ذات الرصيد الغني الكبير .

إله م يريدون ديناً وصفه ولسون : يحدد لهم أهدافاً كبرى ، ديناً يمسنح الإنسان هدفا نهائيا لا ينتهي حتى ولو عاش مليوناً من السنين . إلهم يريدون ديناً حراً بعيداً عن الإيمان الأعمى وتسلط رجال الدين، ديناً متفتحاً غير مغلق بعيداً عن الخرافات والطقوس الفارغة، كما قال (هولمه) .

إنهم يريدون ديناً لا يتصادم مع العقل ، ديناً يحدد ويوضح الحقائق الكبرى . في حياة الإنسان عن هدفه وعلاقته بالله .

⁽١) العلمانية للحوالي ، ص ١٦٢ .

إله م يريدون ديناً ينقذهم من جميع أمراض الحضارة ، وأن يتفاعل مع كل القيم بشكل مستمر ، ديناً يشغله روحياً ونفسياً دون أن يدعــه يستســلم للفراغ والكسل .

إنهم يريدون ديناً ينتشلهم من أمراض الخواء الروحي واللاهدفية والقلسق والسأم والتمزق النفسي والميكانيكية القاتلة .

إلهم يريدون ديناً يضبط نزواتهم وشهواتهم ويرشدها ، لا دينا يكبتها ويستقذرها ، ديناً يقيم توازناً بين حاجات الإنسان الجسمانية وأشواقه الروحية .

إنهم يريدون ديناً يصون الحضارة والتقدم العلمي ولا يضيق بعلم صحيح أو تجارب نافعة ، دينا تتفق فيه حرية الفكر مع استقامة الدين .

إله م يريدون ديناً يحترم النفس والبدن ويقدر الحياة لأنها وسبله إلى الآخرة ، ديناً يقسول لهم : ﴿وَلا تَقْتُلُوا اللهُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ [النساء: ٢٩] لا ديناً يقول لهم : ﴿ مِن أَراد أَن يَخلص نفسها يهلكها ﴾ .

إله م يريدون ديناً إذا أمر بشيء لا يقول العقل : ليته نحى عنه ، ولا ينهى عن شيء فيقول العقل : ليته أمر به .

ديناً تسود فيه الروح العلمية كل علاقة وموقف وشأن في الحياة .

إنهم يريدون ديناً يقول لهم : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[النمل: ٦٤]

- ﴿ لَبُنُونِي بِعِلْمِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٣] .
- ﴿ انْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[الأحقاف: ٤]

إِنْهُم يريدون ويبحثون عن دين يقول لهم : ﴿ وَالْبَتْغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّــــــــُ الـــــــُدَارَ الْآخرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّلْيَا﴾ [القصص: ٧٧] .

لا ديناً يقول لهم: (مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غــــىٰ ملكوت الله) مرقص ومتى .

لا ديناً يقول لهم :(من أراد الملكوت فليترك ماله وولده وليتبعني) .

هل عرفتم عن ماذا يبحثون ويريدون ؟ إنمم والله يبحثون عن الإسلام وشريعة الله ولكنهم كما قال الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

إن الذي يحول بينهم وبين الإسلام ثقافة مزورة مغشوشة ، وتعصب أعمى ومعلومات مقلوبة ، وما ترسب من عداوات قديمة .

إن الذي يحول بينهم وبين الإسلام هم المسلمون أنفسهم الذين ينتسبون إلى الإسلام ثم تركوا رسالتهم وأهملوا شريعتهم التى فيها النجاة مسن جميسع أمراض العصر وساروا وراء كل ناعق ، وبدلاً من أن يعتزوا بالله وبرسالته اعتزوا بغير الله ففلوا .

إن رجلاً مثل المفكر (توينبي) ينظر إلى العالم الإسلامي الذي يمكن أن يكون مصدر الحضارة الجديدة (بعد الهيار حضارة الغرب) كما قام بذلك في العصور السابقة عندما سقطت الحضارة الكلاسيكية يراه كما يقول وقد غدا كأي جزء من أجزاء العالم الصغير الآخر متغرباً ، أى أنه يمر بنفس التجربية الحضارية التي يمر بحا الغرب لماذا ؟

يقول:

لأنه تخلى عن نظامه الوحيد الذي يمكنه أن ينقذه من مشاكله ومآسيه ، وراح يركض وراء تجارب الغرب الحضارية فيتبناها ويعيشها ، ومن ثم يجد نفسه مصاباً بنفس الأمراض التي أصيب بها الغرب : الخدواء الروحمي ، واللاهدفية ، والقلق والسأم ، والتمزق النفسي ، والميكانيكية الستى تحدول الإنسان إلى قزم ضئيل شقى ، وهكذا .

فالعالم متغرب الآن كله شرقه وغربه ، وهو متمزق ومريض الآن كلــه شرقه وغربه ، ومن ثم فإن أمل توينبي في إيجاد مصدر جديـــد للحضـــارة والشرق الإسلامي على ما هو عليه يدعو إلى التشاؤم .

 أنفسهم الذين راحوا يركضون كما قال (توينبي) وراء الغــرب وتجاربــه ونظمه وقوانينه حتى وحد نفسه مصاباً بنفس أمراض الغرب .

ولكن (توينجي) ورفاقه لو رأوا صحوة المسلمين في النصف الثاني من القرن العشرين لتجدد الأمل لديهم في أن الشرق الإسلامي سيقوم بالإنقاذ كما قام في السابق بإذن الله .

عسى أن يفيق العلمانيون العرب من تقليد الغرب والإعجاب بحضارته ونظمه، والمناداة بأن نسير في نفس الطريق والدرب الذي سار فيه الغرب.

إن كبار مفكريه يقولون : إنه لا مفر من الهيار حضاراتهم لأنها حضارة عرجاء عوراء ، إنهم يبحثون عن حل لورطتهم فصل الدين عن الحياة .

إن أينشتاين يؤكد: أنه يكفي انقطاع حيلين متتابعيين فقط في خط العقول المتفوقة الميالة بصورة خاصة للعلوم الطبيعية لكي تنهار كل المشيدات القائمة في هذا العلم.

إن غرق المجتمعات الغربية في الرذيلة والفساد وفصل الدين عسن الحيساة وجعل الحياة بحرد متع وشهوات ، ووصول الإنسان إلى الرفاهية الكاملة والركون إلى الدعة والراحة سوف يؤدى إلى هذا الانقطاع الذي تحدث عنه (أينشتاين).

ولقد قرأت لأحد الباحثين الأمريكيين قوله: إن الذي يدير عجلة الحيساة في أمريكا هم الذين تعدوا سن الأربعين وهم الذين يقومون بمعظم الأعمسال المهمة والحيوية ، وأما حيل الشباب والشابات فإنهم غسارقون في مشساكل

الحضارة ، وهذا نذير خطر ؛ لأنه يبين أنه سوف يكون هنـــاك تـــدهور في الأجيال القادمة .

إنهم يبحثون عن دين حديد لا يعيد لهم مآسى العصور الوسطى مـن اضطهاد وقتل ومحاكم تفتيش ، ومذابح لا تتوقف .

دين لا يصادر العلم ، ولا يقف ضد حرية الرأي الصحيحة .

فهل تصلح المسيحية ؟ لقد رأينا رأى كبار مفكريهم ، وأنها لم تعد تصلح لإنقاذ تدهور الحضارة .

إنهم يقولون : إن حل القديس بولس يعتبر أمرًا غير مقبول .

إنهم يقولون : إنها لم تعد تملك القدرة على إنقاذ الإنسان والأخذ بزمـــام الحضارة (١) .

إنه م يقولون إن الدين - وهو العمود الفقرى للحضارة - قد يــبس في الكنيسة لم يعد يقبل به اللامنتمون الذين غدوا عصاة (٣) .

وهذه بعض الشهادات الأحرى عن فشل الحضارة ، وفشـــل النصـــرانية للعلاج والإشارة إلى الإسلام .

(۱) بولس . (۲) نيومان . (۳) ولسون .

يقول الأستاذ أمرى ديفر عن أسباب فشل النصرانية في كتابسه (تحليل السلام) فيقول:

((إن القتل الواسع النطاق والتعذيب والاضطهاد والضغوط التي شهدناها في منتصف القرن العشرين لأدلة قاطعة على الإفلاس الكامل للكنيسة كوسيلة لترويض الانفعالات الإنسانية الغريزية ، ولتحويل الإنسان مسن حيسوان إلى مخلوق اجتماعي معقول .

وإن بعث البربرية والاستعمال المطلق للقتل الجماعي في العالم بأسره يمكن اعتبارة كعمل لقلة من الأفراد الذين لا يؤمنون بالله ، أصابهم مرض التلفذ بالتعذيب (الساديزم) أو جماعة من المتعصبين للشنتوية اليابانية .

لقد قتل ملايين الأبرياء دون أن تمتز شعرة من جسم من قتلوهم ، كما لهب الملايين من البشر وجردوا مما يملكون ونفوا من بلادهم واستعبدوا ، وقد لقوا هذا المصير على أيدى نصاري انحدروا من أصلاب أسر نصرانية انتسبت منذ قرون إلى الكنيسة الرومانية الكاثولوكية أو إلى الكنيسة الشرقية البروتستانتينية ، ولقد ارتكبت فظاعات ومآس مفزعة وبحردة من كل مظهر إنساني لا على يد ألمان ويابانيين فحسب بل على أيدى أسبانيين وطليان وبولنديين ورومانيين وبحر وفرنسيين وصسرب وكسروات وروس ، ولقد أغضت عن هذه الفظاعات وأغمضت عينها كل المجتمعات على الحستلاف مذاهبها)) .

ويتابع أم**رى ديفر** :

((وليس قصدي هنا أن أهم أو أصدر حكماً على أي دين مترل مسنظم لإغضائه عن هذه الانفجارات الوحشية الشبيهة بحيوانية إنسان ما قبل التاريخ ولكن مجرد حصول هذه النكسة أو وقوع تلك الجرائم قاطع الدلالة على عدم. كفاية النصرانية في تكييف الأخلاق الإنسانية والتأثير عليها وحمل الإنسان على ترك ما توحي به غرائزه والاهتداء بالمثل الروحية .

إنه من العبث نكران أن المسيحية عجزت عن التسرب إلى نفس الإنسان وعن غرس جذورها في تلك النفس ، لقد اقتصر نجاحها فقط على خلق قشرة رقيقة من السلوك الخلقي وطبقة طفيفة من الحضارة لم تلبث القلاقل الاجتماعية التي شهدها القرن حتى مزقتها قطعاً)) .

ثم يتابع تحليله قائلاً :

((إن ألفى سنة لزمن كاف للحكم على جدوى طريقة بصرف النظر عن المذهب الذى تطبقه هذه الطريقة ، خلال هذه القرون العشرين خيل إلى الناس أن المسيحية نجحت في تأسيس الحيوان الراقد في صدر الإنسان وفي ضبط وتقييد الترعات والخصائص الإنسانية المضرة ، ولكن منذ حادت الكنائس عن رسالتها الإنسانية العالمية تحولت إلى منظمات وطنية مؤيدة أثر الوطنية الوثنية القبلية .

كم هي ضعيفة قبضة المسيحية في العالم الغربي ، ذلك لأنها مـــن أجـــل عرض الدنيا تخلت عن تعاليمها الروحية مستسلمة أمـــام غرائـــز الإنســـان البركانية التي تحطم بعضها بعضاً مالم يتداركها القانون ويلزمها حدها .

إن ما في المسيحية من قدسية وبواعث للحضارة هو توحدها وعالميتها أى تعاليمها القائلة: إن الناس خلقوا متساويين أمام الله وألهم عبيد لإله واحد يحكمهم قانون واحد ، فتلك هي التعاليم المنطوية على الفكره حقاً في تاريخ الإنسانية .

وهذه شهادة طبيب نفسي أمريكي يسمى هارولد فينك كان يعالج مرضاه ضد أمراض العصر وقلقها ، ولكنه يكتشف أنه هو نفسه مريض ، لماذا ؟ لأنه كما يقول : لا يملك الإيمان الصحيح .

فهو يصرخ بأعلى صوته مستنجداً: إنني محتاج للدين لتنظيم حياتي ، ولكن أى دين ؟ أهو المسيحية المحرفة كلا إنه يرى أن إيمالها ناقص مشوه، يقول:

ومعركتنا مع رحال اللاهوت (رحال الكنيسة) لا ترجع إلى ألهم يقولون عن الله أكثر مما يجب ، فأنا أبغي معرفة كل شيء عنه سبحانه وتعالى ، فأنا مثل الطفل الشره الذي يحصل في عيد الميلاد على لعبات ست فيبدى أنه صدم ؛ لأنه لم يحصل على كل مل في الميلاد على الأطفال من لعب .

لذلك يعترف في حرأة نادرة :

((إن العالم الغربي لم يهضم بعد الديانات العظيمة التي نشأت في الشرق الأوسط ، إنه لم يخرج بعد من العصور المظلمة)) .

يقول الأديب الأمريكي الشهير أمرسن :

((أصغيت مرة إلى واعظ فأغراني بشدة إلى أن أقول: إنني لـــن أقصـــد الكنيسة مرة أخرى فالناس كما ظننت يذهبون إلى ما ألفوا الذهاب إليه وإلا لما قصد أحد المعبد في المساء)) .

ويقول أمرسن : إن الدعوات بل العقائد الثابتة في كنائسنا أشبه بالبرج الفلكي في دندرة ، أو الآثار الفلكية عند الهندوس ، تنعزل انعزالاً تاماً عن أى شيء مما يوحد اليوم في حياة الناس (١) .

يقول الفيلسوف الإنجليزي جود :

سألت عشرين طالباً كلهم في أوائل العقد الثاني من أعمارهم :كم منهم مسيحي وبأى معنى من معاني الكلمة ؟ فلم يجب منهم إلا ثلاثة ، وقال سبعة منهم: إلهم لم يفكروا في هذه المسألة أبداً ، أما العشرة الباقين فقد صرحوا ألهم يعادون المسيحية (٢).

هذا هو رأيهم في حضاراتهم وفي دينهم ، الحضارة ستنهار ولابد لأنها قامت على غير أساس ، والدين الذي تقدمه الكنيسة لا يصلح للعلاج والإنقاذ .

⁽١) العلمانية للحوالي .

⁽٢) ماذا حسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي.

فماذا يقولون عن الإسلام ؟

لقد وقف (يق. بي . أرفنج) الأستاذ في جامعة (تنس) الأمريكية يخطب المسلمين في مدينة جلاسحو ببريطانيا حين زارها منذ سنوات يقول:

((إنكم أيها المسلمون لن تستطيعوا أن تنافسوا الدول الكبرى علمياً أو اقتصادياً أو عسكرياً في الوقت الحاضر على الأقل ، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا هذه الدول تحبو على ركبها أمامكم بالإسلام ، أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذى تحملوه والذى يتعطش إليه كل الناس في مختلف جنبات الأرض ، تعلموا الإسلام وطبقوه وأجملوه لغيركم من البشر تتفتح أمامكم الدنيا ويدين لكم كل ذى سلطان . أعطوني أربعين شاباً محسن يفهمون الإسلام فهماً عميقاً ويطبقونه على حياقم تطبيقاً عميقاً ويحسنون عرضه على الناس بأسلوب العصر وأنا أفتح الأمريكتين)) .

((أقول : سبحان الله ، إن الإسلام يحاربه أهله ويستبدلون الذى هو أدني بالذى هو خير ، ويريدون أن يعيشوا على مزابل التاريخ ، فهل هذا جنون أم سفه أم خيانة أم كل ذلك)) (١) .

يقول الكاتب (كولن ولسون) في كتاب (سقوط الحضارة) بعسد أن انتقد علمانية الغرب وفشل المسيحية ،يقول (ولسون): أما روح الثقافسة الإسلامية وحضاراتها فقائمة على أساس وحدة الكون وانسجام قوى الطبيعة واتساقها ، وأن الإسلام هو النظام الوحيد الذي يحقق هذا الانسجام .

⁽١) مجلة المجتمع ، العدد ١٠١٦ – ٧ ربيع آخر ١٤١٥هــ ١٩٩٤/٩/١٣م.

الإسلام – الإسلام وحده – هو الذى يجمع بين العلم والدين فى وحـــدة تامة غير متنافسة ، والتاريخ الإسلامي حافل بأسماء الألوف من الأفذاذ الذين كانوا مناراً في العقيدة ومرجعاً في البحث العلمي ، ولاتجد مثل هذا الجمع في تاريخ غير المسلمين .

يقول المفكر الفرنسي الشهير أندريه مارلو: ((إن القرن الحادي والعشرين هو قرن الإسلام)) .

ويقول المؤرخ العالمي هنوى دي شامبون: ((لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجي على تقدم العرب (المسلمين) في فرنسا لما وقعت فرنسا في القرون الوسطى المظلمة ، ولما أصيبت بعظائمها ، ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الديني والمذهبي ، ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ، ونحن مدينون للشعوب العربية بكل ضمان حضارتنا في العلم والفن والصناعة وحسبها كانت مثال الكمال البشري في مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الهمجية)) .

ويقول العلامة **لافيس** :((كم من الأحزان والآلام والجنايات كان يمكن إنقاذ الإنسانية منها لو لم يقف شارل مارتل العرب عن السير في فتوحهم)).

ولقد هز كتاب السفير الألماني المسلم مراد هوفمان (الإسلام هوالبديل) ألمانيا كلها من حقائق حول قدرة الإسلام على أن يكون بـــديلاً للحضـــارة الغربية .

أما المستشرق الفرنسي جاستون كارمن فيقول: ((إن القرآن هو منبع الدين العقلي ودستوره، وقد احتوى على أسس تستند عليها حضارة العالم ففي إمكاننا أن نقول: إن هذه الحضارة نشأت من امتزاج الأسس التي نشرها الإسلام، إن الحضارة وإن خمدت قليلاً فإنها لم تمست ولسن تموت (يقصد الحضارة الإسلامية)، بل إن أقطاب الحضارات يتهيبون يوم يقظتها ويعملون لهذا اليوم ألف حساب، وكل الدلائل تشير إلي أن ذلك اليسوم قريب حداً)).

يقول عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا شيرل في مسؤتمر الحقوق سسنة ١٩٢٧م: ((إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل مثل محمد (ﷺ) إليها إذ إنه برغم أميته استطاع قبل أربعة عشرة قرناً أن يأتي بتشريع سسنكون نحسن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفى سنة)) .

ويقول المفكر الفرنسي روجيه جارودي: ((الإسلام بمكنه مرة أخرى أن يبعث الأمل في مجتمعاتنا الغربية التي خربتها الفردية وخربها النمو والذى يسير في العالم كله إلى الانتحار)) .

ويقول الفيلسوف البريطاني برتداند راسل محذراً الرجل الأبيض والغرب كله من الإسلام وحضارته ، يقول:

((دعوا اختلافكم ووحدوا صفوفكم ، وإلا فـــإن المســـلمين ســــيرثون حضارتكم ، لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يســـتطيع التوحيـــد بـــين الشعوب المختلفة في أمة واحدة)) .

وفي مدح الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل عصـــر يقـــول الـــدكتور إيزاكونساباتو:

إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوروبية ، بـــل هى التى تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً .

نقول بعد ذلك : إن حضارة الغرب المادية بشقيها الشيوعي والعلماني أخذت فرصتها الكاملة ثم هي في طريقها إلى الانهيار النهائي .

وأنا أكتب في هذا البحث أصدر الرئيس الأمريكي كلينتون قراراً بالسماح بدخول الشواذ إلى الجيش الأمريكي وإلغاء القانون الذي كان يمنعهم .

والقانون القديم لم يكن يمنعهم لأن هذا عيب أو حرام لا ، إنما كان يمنعهم خوفاً من ابتزازهم وتسريب الأسرار العسكرية ، فلما الهار الاتحاد السوفيتي لم يعد هناك مبرر لمنعهم .

وفي نفس التوقيت يجتمع مجلس اللوردات البريطاني ويجعل السن الـــذى يتزوج فيه رجل من رجل هو ستة عشر عاماً،بدلاً من القانون القديم المتخلف الذى كان يجعل سن زواج الرجل من رجل واحداً وعشرين عاماً!.

هؤلاء هم حكامهم وعقلاؤهم وصلوا إلى درجة من الانحطاط والتدني لم تصلها أمة من قبل ، والعجيب أن الدول التي لا تستجيب أو ترفض أن تسير في نفس المنهج وعلى نفس الخط هي دول متخلفة ورجعية . والأعجب من ذلك أن أناساً منا ومن جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ويزعمون ألهم مسلمون ، يقولون ويكتبون بلا حياء أننا إذا أردنا التقدم والحضارة فعلينا أن نحاكي الغرب في كل شيء ، في الخير والشر ، فيما نحب وفيما نكره ، فيما يحمد وفيما يعاب .

وإذا قلنا لهم : ولماذا لا نأخذ الأولى ونترك لهم الثانية ؟ لماذا لا نأخذ الخير ونترك لهم الشر ونأخذ ما نحب وندع ما نكره ونتمسك بما يحمد ونلفظ ما يعاب ؟ قالوا لنا : متخلفين رجعيين .

إن العقاب الإلهي لأمة وحضارة الشواذ قادمة ، وصدق الله حين قال عن قــــوم لــــوط : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُكا جَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرُكا عَلَيْهَا حِجَـــارَةً مِـــنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعِيدٍ ﴾ [مرد : ٨١ ، ٨٨] .

وما هى من الظالمين ببعيد .

ولكن لماذا تمادت أوروبا في غيها ؟

لماذا لا تحاول إنقاذ السفينة من الغرق ؟

لماذا لا تحاول ترشيد المسيرة وإنقاذ الحضارة التي قال مفكروها الكبــــار : إنها حتماً ستنهار ؟

أقول : إن أوروبا تمادت في غيها وازدادت في غوايتها ؛ لأفحا لم يكسن عندها دين صحيح مقبول أو كتاب واضح معقول ترجع إليه إن هي ضلت

الطريق ، فقد يكون الضلال مؤقتاً ، ولكن يكتشف الإنشّان أو الأمة مــن مصدر ثابت صحيح أنها قد ابتعدت عنه كثيراً أو قليلاً فترشد المسيرة وتعود إلى الطريق .

أما ألا يكون هناك ميزان ثابت ، ولا مرجع صحيح يعود إليه النـــاس أو الأمة فإنها تزداد في غوايتها وضلالها ، وتطلق لنفسها العنان لا تلوي علــــى شيء .

ولقد عصم الله المسلمين من هذا الإشكال الخطير ، فجعل لهـــم مرجعــاً وسنداً صحيحاً واضحاً ثابتاً يرجعون إليـــه إن ابتعـــدوا أو تشـــعبت هـــم الأهواء.يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّا لَحْنُ نَزُّلْنَا اللَّهُ كُو وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

ويقول سبحانه:

﴿ قَسَدُ جَاءَكُمْ مِنَ اللّهِ نُسُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِسِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضُوائَهُ سُبُلُ السّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِسْنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى التّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَسَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ السّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِسْنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى التّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَسَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ السّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِسْنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى التّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَسَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

ويقـــول رســول الله ﷺ: " أيها الناس ، إن لكم معـــا لم فانتـــهوا إلى معالمكم ... " .

إنها معالم واضحة وصراط مستقيم محدد ، عليه رايات وأعلام ، وهذا هو السر فيما يسمى صحوة المسلمين اليوم ولأجل ذلك فإن المستقبل للإسلام .

أوروبا كرجل ليس له بيت ولا أسرة يأوى إليها بعد تعب العمل وكـــد النهار ، فأين يذهب فهو في الأرض حيران .

أما المسلم فعلى العكس ، له بيت وأسرة يأوى إليهم ، فمهما بعد عن مقره ومهما تفرقت به السبل فإنه يستطيع أن يعود إلى موطنه، أو بمعنى آخر: إن المسلم يأتي عليه زمان يبتعد عن دينه ويكون بينه وبين إسلامه كما بين المشرق والمغرب ، ولكن فحأة عاد والتزم واستقام لأن المرجع واضعح.

وكذلك الأمة يأتى أحد حكامها فيظلم ويعطل الشريعة ويجور ، ولكن يأتي بعده من يعدل ويصلح ويعود بالناس إلى الشرع .

وقد حدث هذا مراراً على مدار التاريخ الإسلامي ، فسيرة عمر بن عبد العزيز، وتصحيحه للمسيرة وعودته إلى النبع الصافى والحق والعدل معروفة . ووقفة أحمد بن حنبل في وجه الفتنة والتمسك بالعقيدة الصحيحة مشهورة حتى فاء الخلفاء والعلماء ومن تبعهم إلى الحق وإلى عقيدة أهل السنة .

وجهاد شيخ الإسلام ابن تيمية ومحاربته للبدع والخرافات نار على علم حتى أصبح مرجعاً للعقيدة السلفية في عصره وبعد عصره . وتصحيح عقيدة أهل الجزيرة بدعوة محمد بن عبد الوهاب مما علق بالعقيدة من شرك وبدع كذلك .

وقبل ذلك احتل الصليبيون بيت المقدس لما يقرب من مائة سنة، وظنـــوا أن الأمر قد دام لهم واستقر ،وخرج من رحم الأمة صلاح الدين فحرر بيت المقدس ولقنهم دروساً فى فنون الحرب وأخلاقها .

وعندما أصاب المسلمين ضعف وفرقة ، قام المسلم التركى محمد الفساتح بإكمال المسيرة وفتح القسطنطينية ، وتجمع المسلمون تحت راية الخلافة مسايقرب من أربعمائة سنة ، وكانت دولة الخلافة بقيادة الترك الدولة العظمى في العالم ، وعندما سقطت الخلافة في بداية القرن بفعل المؤامرات الدولية ، وأصبح المسلمون كالأيتام على موائد اللئام ، حمل الدعوة الشهيد حسسن البنا- رحمه الله - وغيره من الدعاة إلى الله في وقت عم فيه اليأس والقنوط ، فملأت الصحوة الإسلامية وجه الأرض ، وانتشرت في أرجاء الدنيا تبشسر بالإسلام من جديد فأيقظت الهمم والضمائر ، وأصبحت هذه الصحوة المباركة أمل الأمة في كل مكان .

وهكذا إلى أن تقوم الساعة تصحيح وترشيد ، وعودة إلى نبيع صاف ومرجع واضح صحيح لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حفظه الله حجة على العالمين إلى قيام الساعة .. فأنى للغرب هذا !!

ولأحل ذلك فإن المستقبل للإسلام .





المؤامرة

تعرض الإسلام لمؤامرات حبارة من الغرب المادي العلماني لكي يقتلعــوه من قلوب المسلمين قديماً وحديثاً .

هذه المؤامرات لو تعرض لها دين آخر ما بقى منه شيء ، لقد بدلوا جهوداً مستميتة لكي يحلوا العلمانية بديلاً عن الإسلام ، وحتى ينتزعوا من المسلمين ورقتهم الرابحة وسبب مجدهم وعزهم وفخرهم ، وحتى نكون نحن وهم في الشقاء والتعاسة سواء .

لقد بذلوا الجهود ، وحيشوا الجيوش،وأنفقوا الأموال لكـــي نركـــب في سفينتهم ، ولكي نربط مصيرنا بمصيرهم ، فإذا غرقوا غرقنا معهم .

وصدق الله العظيم حين حذرنا منهم قائلاً سبحانه : ﴿ وَدُوا لَوْ تَكُفُسرُونَ كُمَّا كَفَرُوا فَتَكُولُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء : ٨٨] . ويقول سبحانه : ﴿ وَدُ كَثِيرٌ مِسنُ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُولَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ ٱلفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ ٱلفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مِسَا تَبَيْنَ لَهُمُ الْحَقَّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

ويقـــول تعالى : ﴿وَلَـــنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلْتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢]

 ينقضون عرى الإسلام عروة عروة في الحكم والتعليم والمرأة والثقافة ووسائل الإعلام وغيرها .

صحيح ، كان الإسلام في هذا الوقت بلا روح وبلا فاعلية في قلوب المسلمين وحياتهم ، لكنهم خشوا من استيقاظه في النفوس وعودته حياً طرياً . يقول (كووهو) الحاكم الإنجليزي في مصر في عهد الاحتلال :

((على الإنجليز مهمة كبرى هى محاولة ربط مصر بهم وصبغها بصبغتهم أو الصبغة التى نرضى فيما بعد أن تكون البلاد حزءا لا تتحزأ مسن الدول البريطانية.كل هذا دون إثارة إحدى الدول ودون عنف ودون اتخاذ إحراءات قاسية ، ولكن بهدوء وصبر وأناة وبالمصريين المتربين تربية أوروبية)) (١) .

ويقسول (هاناتو) عما فعله الفرنسيون في المغرب العسربي خاصة في تونس: ((لقد تظاهرنا باحترام النظام السابق ، وحافظنا على مركسز الباى حاكم البلاد وبالغنا في ذلك ، بحيث تمكنا بواسطة ما أدخلناه من التعديلات الطفيفة شيئاً فشيئاً وأجريناه من المراقبة على الأمور الإدارية والسياسية مسن التداخل في شؤون البلاد والقبض على أزمتها بدون شعور من أهلها ، وقام بأعمال هذا التغيير والتبديل وهذا الفسح والتحويل عدد قليل من المسواطنين التونسيين)) .

⁽١) جذور العلمانية ، ص ٥٩ .

ويستطرد (هاناتو) قائلاً :((إذن يوجد الآن بلد من بلاد المسلمين قد انفصم الحبل بينه وبين البلاد الإسلامية الأخرى الشديدة الاتصال ببعضها ، إذن يوجد أرض نشأت فيها نشأة حديدة وأنبتت في قضائها وإدارتها وعاداتها وأخلاقها ، أرض يصح أن تتخذ مثالاً يقاس وأنموذجاً ينشد على منواله ألا وهي البلاد التونسية)) (١) .

يقول (جان بول رو) عن الهدف الحقيقي من الحملات الصليبية: ((فقد قدف بملايين الأوروبيين إلى شواطئ الشرق ومهمتهم تغيير المعتقدات الشرقية ومن أجل الوصول إلى ذلك فإن عليهم أن يخربوا الشرق)) .

إلي أن يقول :

((لم يكن القضاء على الدولة العثمانية المسلمة إلا مظهراً من مظاهر الهجوم العام الذي يشنه الأوروبيون على الدول الإسلامية ، ومن حزر الفلبين إلى قلب إفريقيا عمل الرجل الأبيض على بسط سيطرته على الرجل المسلم ، وفرض عليه مفاهيمه في الوجود وطرق معيشته وتفكيره ومخططاته وتكتيكه)) (٢) .

إن كل مسلم يجب أن يسأل نفسه هذا السؤال: لماذا أرادوا أن يغـــيروا مفاهيمنا وعقيدتنا وطريقة عيشنا وتفكيرنا ومخططاتنا وتكتيكنا ؟ لماذا يغـــير كل هذا وهو كما يدعون ويزعمون سبب تخلفنا ؟

⁽۱) حذور العلمانية ، ص ۵۸ .

⁽٢) العلمانية للحوالي ، ص ٥٣ .

وهل كانوا في يوم من الأيام حريصين على تقدمنا أو نهضـــتنا وهـــم الذين يخططون لتدميرنا وإذلالنا ؟

إلهم يعرفون أن مفاهيمنا الصحيحة وطرق عيشنا القويمة يوم أخذنا بها صحيحة هي سر قوتنا وسبب لهصتنا وعزنا .

فلابد إذن أن نترك معتقداتنا ومفاهيمنا وطرق عيشنا ونقطع صلتنا بديننا وماضينا، وأن نفقد الذاكرة ، فإذا فقدنا الذاكرة ونسينا ماضينا ضاع حاضرنا ومستقبلنا ، وكان من السهل عليهم أن يقودونا إلى ما يريدون .

وأول شيء فعله عميلهم كمال أتاتورك في تركيا هو فك الارتباط بين تركيا والإسلام ، وإلغاء كل مظاهر الإسلام ، والغريب أن يكون هذا بعد أن كانت تركيا دولة الخلافة ، وارتقت بالإسلام إلى الدولة العظمى في العالم لما يقرب من أربعة قرون .

فما السبب يا ترى وهم المحتلون الذين يريدون إذلالنا ؟ إن الأمر واضــــح لكل ذى عينين ، ولقد أكملوا مخططهم بالعملاء والخونة لدينهم ولأوطائهم ؟ لألهم قالوا: لا يقطع الشجرة إلا أحد فروعها .

ولنقرأ التقرير المفصل للقس (زويمو) رئيس مؤتمر القدس التنصيرى عــن سب الاستعمار وغايته وأهدافه:

((أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد المسلمين فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن الأداء ، ووفقتم لها أسمى التوفيق وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه)).

إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في المسيحية لم يكونسوا مسلمين حقيقيين ، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة إما صغير لم يكن له مسن أهله من يعرفه ما هو الإسلام ، أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي غسير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وثالث يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية بها في بلاد المسلمين ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ؛ فإن في هذا هداية لهم وتكريماً ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية .

وهذا ما قمتم به خير قيام ، وهذا ما أهنئكم عليه وتمنئكم الدول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهنئة . لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي قيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء.

إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى القبسول بالسير في الطريق الذى مهدتم له كل التمهيد ، إنكم أعددتم نشءاً في بلاد المسلمين لا يعرف الصله بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام و لم تدخلوه المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء .

وإن مهمتكم تمت على أكمل الوجووه وانتهيتم إلى خسير النتائج، وباركتكم المسيحية، ورضى عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم، فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضوع بركات الرب).

إن المسلم ليعجب من رجال الدين المسيحيين هؤلاء ، لماذا يريدون أن يقطعوا صلة المسلم بالله ؟ صحيح ألهم قالوا : حتى لا يكون للمسلم صلة بالأخلاق التى تعتمد عليها الشعوب في حيالها وتقدمها ، لكن من العجيب ألهم يقولون : إن الله يرضى بذلك ، أي أن الله يرضى بأن يقطع أكثر من الف مليون مسلم صلته به سبحانه ، إلهم فشلوا في تحويل المسلمين إلى المسيحية ولما يئسوا من ذلك صرفوا جهودهم لإخراج المسلم من إسلامه .

ألا يدل ذلك دلالة واضحة وأكيدة ألهم يعتقدون ألهم ليسوا على شيء،وأن دينهم باطل ومحرف،وأن حقدهم على الإسلام والمسلمين يجعلهم يحاولون ويستميتون في إخراج المسلم من دينه.

كما قال إخوة لهم من قبل : إن دين المشركين الذي هو عبادة الأصنام أفضل من دين محمد ﷺ الذي هو عبادة لرب الأرباب .

﴿ أَلَمْ تُسَرَ إِلَسَى الَّذِينَ أُوتُوا تَصِيباً مِسَنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْسَتِ وَالطَّسَاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ [النساء: ٥١].

إن المسلم لا يود لغير المسلم أن يكون منحرفاً حتى ولو كان يهودياً أو نصرانياً.

لا يحب المسلم أن يرى يهودياً أو نصرانياً يزنى أو يشرب الخمر أو يأكل الربا أو يكفر بالله ، هذا إذا كانوا يؤمنون بالله أصلاً .

وهذا دليل على أن هذه الأمة كما قال تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرِجَــتُ لِلنَّاسِ ﴾ الآية [آل عمران: ١١٠] ، أمة تحب الهداية والخير للناس جُميعاً.

أما أن يسعى النصارى إلى إفسادنا ويكابدون في سبيل فك الارتباط بين المسلم وإسلامه أو بين المسلم وربه ، فهذا وحده دليل كاف على أنهم ليسوا على شيء .

إن الزنا محرم في شريعتهم ، ومع ذلك يريدون أن نقع فيه ويسعون إلى إفسادنا.

إن الربا محرم في شريعتهم ، ومع ذلك فنحن متخلفون إذا لم ننشأ البنوك الربوية فهي عماد الاقتصاد الحديث في زعمهم .

إن الكفر بالله محرم في شريعتهم ، ومع ذلك يحاولون ألا تكون لنا صلة بالله .

إن قرة عين اليهود والنصارى أن يروا المسلمين وقد خلعوا ربقة الإسلام وكانوا أي شيء إلا أن يكونوا مسلمين .

وهذا يبين في الحقيقة مدى العمالة والجريمة التي يرتكبها العلمانيون في بلاد المسلمين ، فهم الطابور الخامس الذى يمهد لأعداء الله ، هم بقايا الاستعمار وذيول الإحرام .

هم عبد الله بن أبي ابن سلول رأس النفاق بل أخطر .

إنهم لا ينادون بأكثر مما قاله القس زويمر من فك الارتباط بسين المسلم ودينه وخالقه ، فإن كان ولابد فبين أربعة حدران لا يتعداها، ومع ذلك فهم كارهون لذلك أيضاً ، فهم يؤذيهم صوت الأذان ، وصيام رمضان ، والحج إلى بيت الله الحرام .

كان على هؤلاء أن يرحلوا مع الاستعمار يوم رحل ، ولكنهم بقوا بأسماء المسلمين ولسانهم ليكملوا ما عجز الاستعمار عن تنفيذه .

ومع فرحتهم تلك ، ومع سرورهم وغبطتهم بالنتائح التي حققوها في بلاد المسلمين ، فإن الفشل ملازم لهم ، واليأس محيط بهم ، ويتوقعون في كل وقت ضياع جهودهم وفشل سعيهم وعودة المارد مرة أخرى .

يقول في تقرير طويل نقتطف منه قوله :

اخترق المسلمون أبناء آسيا شمال القارة الأفريقية بسرعة لا تجارى ، ثم قال :

ولكن لا يزال الهلال ينتهي طرفاه من جهة بمدينة القسطنطينية (إسطنبول) ومن جهة أخرى ببلدة فاس في المغرب الأقصى معانقاً الغرب كله ...

إذن فقد صارت فرنسا بكل مكان في صلة مع الإسلام بل صارت في صدر الإسلام وكبده ، حيث فتحت أراضيه وأخضعت لسطوتها شعوبه وقامت تجاهه مقام رؤسائه الأولين وهي تدير اليوم شؤونه وتجيئ ضرائبه وتحشد شبابه لخدمة الجندية ، وتتخذ منهم عساكر يدافعون عنها في مواقف الطعان ومواطن القتال .

ثم يقول: ليس الإسلام في داخلنا فحسب بل إنه خارج عنا أيضاً، قريب منذ في مراكش، قريب منا في مصر، وهو منذ في مراكش، قريب منا في طرابلس الغرب، قريب منا في مصر، وهو موجود وشائع في آسيا، حيث لا يزال قائماً في بيت القدس ناشراً أعلامه على مهد الإنسانية مقر المسيح، ويحسب أنصاره وأشياعه في قارات العالم القديم بالملايين.

وقد انبعث منه شعبة في بلاد الصين وانتشر انتشاراً هائلاً حيى ذهب البعض إلى القول بأن العشرين مليوناً من المسلمين الموجودين في الصين لا يلبثوا أن يسيروا مائة مليون فيقوم الدعاء لله مكان الدعاء (لساكياموني) وليس هذا بالأمر الغريب ، فإنه لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده منتشراً في الآفاق، فهو الدين الوحيد الذي انتحله الناس زمراً وأفواجاً .

وهو الدين الوحيد الذى تفوق شدة الميل إلى التدين به كـل ميـل إلى اعتناق دين سواه ، ففي إفريقيا نرى المرابطين وقد أفرغوا على أبدالهم الحلل البيضاء يحملون إلى الوثنيين من العبيد العارية أجسامهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك في هذه الدنيا، كما أن أمثالهم في القـارة الآسـيوية ينشرون بين الشعوب الصفر الألوان قواعد الدين الإسلامي ، ثم إن هذا الدين قائم الدعائم ثابت الأركان في أوروبا نفسها أعنى في الآستانة العلية حيـت عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنبع الذي يحكم منه على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية بعضها عن بعـض إلى شطرين .

ثم يقول: وخلاصة القول: إن جميع المسلمين على سطح المعمورة تجمعهم رابطة واحدة يديرون أعمالهم ويوجهون أفكارهم إلى الوجهة السي يغونها، وهذه الرابطة تشبه السبب المتين الذي تتصل به أشياء تتحرك بحركته وتسكن بسكونه ومتى اقتربوا من الكعبة من البيت الحرام، من زمزم السي ينبع منها الماء المقدس من الحجر الأسود المحاط بإطار من فضة مسن السركن

الذى يقولون عنه أنه سرة العالم وحققوا بأنفسهم أمنيتهم العزيزة التى استحثهم على مبارحة بلادهم في أقصى مدى من العالم للفوز بجوار الخالق في بيته الحرام اشتعلت جذوة الحمية الدينية في أفئدهم، فتهافتوا على أداء الصلاة صفوفاً وتقدمهم الإمام مستفتحاً العبادة بقولة : بسم الله فيعم السكوت والسكون وينشران أجنحتهما على عشرات الألوف من المصلين في تلك الصفوف ويملأ الخشوع قلوهم ، ثم يقولون بصوت واحد : الله أكبر ، ثم تعنو بعد ذلك جباههم قائلين : الله أكبر بصوت خاشع يمثل معنى العبادة .

إلى أن يقول: لا تظنوا أن هذا الإسلام الخارجي الذي يجمعه جامعة فكر واحد، غريب عن إسلامنا في تونس والجزائر ولا علاقة له به ، وإن كانت البلاد الإسلامية التي تحكمها شعوب مسيحية ليست في الحقيقة دار إسلام وإنما هي دار حرب، فإنما لا تزال عزيزة موقرة في قلب كل مسلم صحيح الإيمان والغضب لا يزال يحوم حول قلويهم كما تحوم الأسد حول قفص حبست فيه صغارها وربما كانت قضبان هذا القفص ليست متقاربة وليست بدرجة من المتانة بحيث تمنع من الدخول من بينها.

ثم يقول: يؤخذ مما تقدم أن حراثيم الخطر لا تزال موجودة في ثنيات الفتوح وطى أفكار المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي حاقت بهم ، ولكن لم تنبط هممهم، نعم ليست لمقاومتهم رؤساء يديرون هذه المقاومة ، ولكن رابطة الإحاء الحامعة لأفراد العالم الإسلامي بأسره كافلة بالرئاسة (١).

⁽١) ندوات المحاضرات ، ص ٣٠٦ .

إنه تقرير شامل كتب في وقت كان الاستعمار فيه مسيطراً على بــــلاد المسلمين ،ولكن الإحساس بالفشل والخيبة لا يفارقهم حتى في عز انتصارهم.

تقول صحيفة لموند الفرنسية عن تركيا التي حاول الغسرب أن يجعلها علمانية تماماً وتنسلخ من دينها بالكلية ((وبعد قرنين من الإصلاحات الرامية إلى طبع المجتمع التركي بالطابع الغربي ، وبعد نصف قرن من الحكم العلماني، هناك حديث الآن عن ابتعاث الإسلام بحدداً في تركيا التي كانت أوائل الدول الإسلامية التي فصلت بين السياسة والدين .

فالثورة الكمالية (نسبة إلى كمال أتاتورك) كانت قد جعلت من العلمانية أساس الدولة وأساس التحديث فيها مما كان يعني أن الإسلام يجب أن يخرج من الحياة العامة ليحتفظ فقط بحق التأثير في ضمائر المتدينين ، وهكذا تحول الإسلام الذى هو دين وسياسة قبل كل شيء إلى مسألة خاصة بجرة قلم من جانب الدولة التي راحت تشرف عليه ، والواقع أن فصل الإسلام عن السياسة في بلد مسلم بصورة تامة ، كانت تجربة فريدة تقوم بما دولة علمانية قائمة على النمط الغربي وأدى هذا الوضع إلى انتقال الإسلام من موقع السيادة والسلطة إلى موقع الظل في الأوساط الشعبية خاصة في الأناضول وأصبح عرضة للقمع غالباً .

فالمدارس القرآنية والزوايا اعتبرت غير شرعية ابتداء من ١٩٢٥ ، على اعتبار أنها مراكز للتخلف والتآمر الرجعي ، ولكن هل انطفأ نور الإسلام مع ذلك في ضمائر الأتراك ؟ يبدو أن العكس هو الصحيح ومع اختفاء الإسلام في الطبقة الحاكمة تحول إلى مركز الخيارات السياسية في البلاد .

فالجمعيات الإسلامية والتعاليم الدينية استمرت تمارس نفوذهــــا وســـط الجماهير في الأناضول واكتسبت أنصاراً جدداً .

إن حماس الجماهير التركية للرموز الإسلامية لا يرجع فقسط إلى نشساط جمعية النقشبدى والقادري وغيرهما ، أو لكون الحكم معاديا للدين ، بسل يرجع كذلك إلى رفض المحتمع التركي لأى نموذج احتماعي يخرج عن الإطار الثقافي الإسلامي)) (١) .

ولكن رغم اليأس الذى ينتاهم من إخضاع المسلمين لعلمانيتهم وحضاراتهم وتقاليدهم فإن العدو ما يزال يتربص لنا بالمرصاد ، ومازال يقيس حركاتنا وسكناتنا وارتفاع أنفاسنا وانخفاضها وما يزال يندس في صفوفنا يبث كيده وينشر أحابيله ، وإن مثله فينا كمثل عدو مازال بعدوه حتى طرحه أرضاً مغمياً عليه ، ثم وقف منه موقف الطبيب يزعم أنه يعالجه ويرغب في إنقاذه فهو يجس نبضه ويقيس حركة تنفسه وما ينبغي من وراء ذلك أن يكون مطمئناً إلى أن هذا المغمى عليه ما يزداد إلا إغراقاً في سباته.

إلهم يحاولون إبعادنا عن ديننا وشريعتنا بشتى السبل ، برغيف الخبز مسرة وبالإغراء مرة ، وبالقوة المسلحة أخرى ، وبالمكر والحيلة مسرة ، وبالغش والخيانة مرة ، وبالانقلابات العسكرية إذا لزم الأمر ، وما حدث في الجزائسر خير شاهد اختار الناس في انتخابات حرة الإسلام ودعاته ولكسن الغسرب

⁽١) الإسلام والعلمانية للقرضاوى .

العلماني لم يعجبه وهدد وتوعد بالتدخل وحرك أذياله وعملاءه حتى انقضوا على اختيار الشعسب وإرادته فألغوها بالحديد والنسار ولكسن هيهسات .. هيهات .

إن انزعاج الغرب من الإسلام يجعل رجلاً مثل الرئيس الأمريكي السابق نيكسون يقول بوقاحه وحراءة :

((يجب أن تتكاتف جهود الشرق والغرب للقضاء على الصحوة الإسلامية وكسر شوكة المسلمين إن كان لهم شوكة)) .

ويتعجب صاحب مقال الأهرام القاهرى الذى نقل هذا الخبر في عموده من حراءة هذا الوقح وعدم مبالاته بحكام العرب والمسلمين وعدم اهتمامــه بمشاعر أكثر من ألف مليون مسلم ينتسبون للإسلام.

ولكن من أين لحضارة الشواذ أن ترضى عن الإسلام والمسلمين.

يقول الكاتب الصحفي حلال الدين الحمامصى في عمودة (دخان في الهواء) قبل وفاته بقليل: ((من الذى أعطى لأمريكا والغرب الحق في الاعتراض على تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر وبأى حق يتدخلون في تشريعاتنا واختيار أنظمتنا ؟)).

وانتظر الرحل حواباً بالنفي من أحد المسؤولين أن أحداً لم يتــــدخل و لم يعترض حتى لقى ربه . لقد تنادوا علينا وأخذ قادة الغرب يصرخون في شبه هستيريا : إن الخطر الشيوعي قد انتهى و لم يبق إلا الخطر الإسلامي وصحوة المسلمين ، إنهـــم يقولون : إن العرب يطمحون إلى إحياء عصر العرب الذهبي .

إنم يقولون : إن العرب قد شقوا قروناً طويلة تحملوا فيها الظلم والعسف ولكن هل مات العربي ؟

كلا فالسامى ينام ولكنه لا يموت .

إن حضارة العرب قادمة ، ولا يستطيع السلاطين والأباطرة منع بحيثها ، ومتى جاءت فسيعجز التسيطر والفتح ورحال المال من الإلمام بما والسيطرة عليها (١) .

وتتحسر حريدة صهيونية وهي الجروز لم بوست فتقول :

((إن ظهور حركة اليقظة الإسلامية همذه الصورة المفاجأة قد أظهــرت بوضوح أن جميع البعثات الدبلوماســية ، وقبــل هــؤلاء جميعــاً وكالــة الاستحبارات الأمريكية كانت تغط في نوم عميق)) .

وفي الحقيقة ألهم لم يكونوا في نوم عميق ولكنهم كانوا متيقظين يخططون ويمكرون ، ولكن إرادة الله قاهرة ومن يغالب الله يغلب .

يقول البروفسير (شارون) وقت أن كان مستشار مناحم بيجن رئــيس وزراء إسرائيل السابق:

⁽١) جذور العلمانية ص ٩١ ، جزء من تقرير اللجنة الملكية البريطانية .

((ما من قوة في العالم تضاهي قوة الإسلام من حيث قدرته على اجتذاب الجماهير ، فهو يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الإسلامية)).

وتبدى جريدة كمشكر الفانجلر التي تصدر في ألمانيا نصيحة قيمة إلى دول الغرب بألا يناطحوا الإسلام لأن التحول قادم لامحالة.

((إن الأحداث الأخيرة في تركيا وإيران وعودة نشاط الاتجاه الإسلامي في مصر وغيرها من الدول العربية يعطى الدليل على أن الإسلام وحدة ، وليست الدول الكبرى ، أو الأنظمة الموالية لها هو الذى يلعب الدور الرئيسى في منطقة الشرق الأوسط)) .

وفي تحليل نشرته الإيكونومست البريطانية حاء فيه: ((بعد أن توقف نهر النيل عن الفيضان ظن الناس أن عهد الفيضانات قد انتهى ، ولكن ذلك لم يكن صحيحاً، فإن مصر تشهد اليوم فيضاناً عارماً ولكن من نوع حديد ذلك هو فيضان الإسلام المكافح بقيادة الإخوان المسلمين ، وليس بمقدور السادات ولا النميرى أن يوقفا المد الإسلامي في مصر والسودان)) .

وتقول صحيفة فورتش في مقال طويل: ((إن الاتجاه السديني في مصر يرسخ أقدامه يوماً بعد يوم ، فالشباب المصرى مفتون بالصحوة الإسلامية الثورية ، كما أن الفتيات المصريات يبدين اهتماماً متزايدا بالإسلام ، وفي جامعة القاهرة يزيد عدد الطالبات الملتزمات بالزى الشرعي ، وقد يأتي يوم لا تبقى فيه طالبة مصرية واحدة إلا وقد ارتدت الزى الشرعى الإسلامي)) .

وفي مقال آخر تقول الجريدة:

((إن الإسرائيليين يشعرون أنهم يعيشون في بحر متلاطم يسيطر عليه الإسلام ، وأن إسرائيل مهددة بالغرق والاندثار في البحر الإسلامي)) .

وتكتب صحيفة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية: ((إن الشباب المسلم في فلسطين بعد أن فقد الأمل في جميع الحركات العربية أصبح يصرخ بأعلى صوته لا عزة ولا قوة الإ بالإسلام .

إن المساحد التي كانت في السابق مقراً لتحمع الشيوخ والعجائز أصبحت اليوم مليئة بالشباب)) (١) .

إلهم يتوقعون تماماً ما نؤمن به يقيناً ، يتوقعون الهيار حضاراتهم ويتوقعون لهضة المسلمين ، وفيضاناً عارماً ليس كفيضان النيل ، ولكن فيضان الإسلام المكافح .

القرضاوي: الإسلام والعلمانية . •

إنهم يعلمون ويعلنون أنه ما من قوة في العالم تضاهى قوة الإسلام حيى قال رئيس وزراء إسرائيل إسحاق رابين السابق: ((إن الخطر الأول على دولة إسرائيل هو التطرف الإسلامي (يقصد الصحوة الإسلامية) ثم يأتي بعدها امتلاك العرب للسلاح النووى)).

فالإسلام أقوى من قنابلهم النووية وسلاحهم الفتاك ولذلك فهم يحاولون أن يبعدوا الإسلام عن المعركة ويخرجوه من دائرة المسلمين فليكونوا أي شيء إلا أن يكونوا مسلمين .

لكن لماذا يخافون الإسلام ؟

كثيرون يسألون هذا السؤال: لماذا الغرب والشرق يخاف الإسلام هــــذه الصورة وبهذا القدر الرهيب ؟

لماذا كل هذا الحقد والاستماتة حتى لا يعود الإسلام وشريعته ؟

لماذا كل هذا الجهد المبذول والأموال المنفوقة في سبيل أن يبقى المسلمون على ما هم عليه من بعد عن الإسلام وتنحية شريعته ؟

لماذا ونحن المتخلفين الذين نعتمد على الغرب في كل شـــيء تقريبـــاً في المأكل والملبس والسلاح ؟

لماذا وهم يقولون: إن سبب تخلف الشرق يرجع إلى الإسلام والـــدين ، فلماذا لا يتركوننا نتخلف وهم الحريصون على أن نظل متخلفين ؟

إن كثيراً من الذين ينتسبون إلى الإسلام يرون حرباً شعواء على الإسلام، ويرون أن هذه الحرب لا مبرر لها ؛ لألهم يجهلون طبيعة المعركة بين الإسلام والطاغوت .

أقول: إن هناك أسبابا كثيرة لهذه الحرب، لكن من أهم هذه الأسباب - من وجهة نظرى في الوقت الحاضر بالذات - هو إفلاس العلمانية وخيبة أمل الشعوب المتقدمة في الغرب وشقوقهم بغير دين صحيح وبغير منهج يتسق مع الفطرة - كما مر بنا من شهادات . .

إن فشل الحضارة الغربية فى إسعاد أهلها جعل الناس يتململون منها ويبحثون عن مخرج ، وبما أن الدين الذى ينتمون إليه لا يشبع رغبتهم ولا يصلح للخروج من الورطة .

إذاً لابد أن يبحثوا فرادى أو مجتمعين عن حل ، وبما أن العالم كله متغرب ويعاني من نفس المشكلة التي يعانون منها ، وإن كان بنسب متفاوتة، فإن في هذا عزاء لهم وحجة في أيدى الذين يسوقونهم بألا فائدة ولا مخرج وإنما هـو طريق كتب علينا أن نسير فيه حتى نهايته .

فلو وجد هذا النظام وهذه الشريعة وهذا الدين الذي يتناسق مع الفطرة والذي يلي وينسجم مع إنسان العصر وأصبح واقعاً في حياة المسلمين ممارسة وتنظيماً وسلوكاً وقانوناً وعادات وتقاليد وأخلاقاً لوجد الغربيون ضالتهم التي يبحثون عنها وكان الشرق كما قال (توينبي) هو مصدر الحضارة الجديدة .

يقول أحد الدعاة بحق: ((إن الإسلام محجوب عن الغرب بستار كثيف من أعمال المسلمين)) .

ويقول أحد الكتاب الغربيين في كتاب (الله أو الـــدمار) : ((لـــو أن العرب عرفوا قيمة الإسلام لحكموا العالم إلى قيام الساعة)) .

لكن الذى يراه الغربي حين يزور بلاد المسلمين ، أو حين يسمع ويشاهد ألهم يحاكونه ويقلدونه ويجاولون أن يصلوا إلى بعض ما وصل إليه فلا يستطيعون وفي نفس الوقت يرى الإعجاب ببلاده وحضارتها رغم التعاسة التي يحس بها والشقاء الذى يعيش فيه ، فيكون هذا أكبر عون على ما هو فيه، وفي نفس الوقت ينصرف عما عندنا من دين .

إن الإسلام نور وهداية واستقامة ، فإذا جاء الحق زهق الباطل .

إذا جاء الإسلام وعاد – وهو إن شاء الله عائد – فسيجمع الغرب أوراقه وينكمش ويعلم أن السباق قد دخل فيه فارس جديد قديم لا قبل له به .

وهذا الذي نقوله قالته اللحنة الملكية البريطانية في تقرير لها ، تقول فيه :

((إن حضارة العرب قادمة ، ولا يستطيع السلاطين والأباطرة منع بحيئها ومتى جاءت فسيعجز التسيطر والفتح ورجال المال عن الإلمام كها والسيطرة عليها)) .

ولتوضيح الفكرة نضرب مثلاً من واقع الناس اليوم .

إن انحيار الشيوعية والمعسكر الشرقي عموماً لها أسباب كثيرة، ولكن من أهم هذه الأسباب بعد إلحادهم وكفرهم بالله هو وجود المعسكر الغربي في المقابل الذي يوجد فيه من المزايا التي لا تتوافر في المعسكر الشرقي ، فمثلاً :

الشيوعية زعمت أنها قامت من أجل إنصاف الطبقة العاملة ومع ذلسك فالعامل في الغرب أفضل منه في الشرق في كل شيء ، مع وجود الحريات في الغرب والحرمان والبؤس في الغرب والحرمان والبؤس في الشرق ووجود الدافع للعمل والإنتاج في مقابل الإهمال والتسسيب ، وغسير ذلك من المزايا .

كل هذا جعل المقارنة ليست في صالحهم من أى وجه مما عجل بالانميار . ولوكانت الكتلة الشرقية وحدها في العالم لكان من الممكن في قدر الله أن تبقى لبعض الوقت .

هذا المثال ينطبق على الإسلام والغرب ، فعندما يعود الإسلام وشريعته ستكون المقارنة بين الإسلام ونظامه وبين الغرب ونظامه ليست في صالحهم من أى وجه من الوجوه ، وسيصلون إلى النتيجة التي وصل إليها المعسكر الشرقي .

إذاً لابد من المقاومة ، ولابد من تخدير المارد ، حتى لا يفيق لأن الغـــرب يدافع عن وحوده .

كما أنه يوجد سبب آخر لا يقل أهمية ، وهو أن عودة الإسلام سيجعل المسلمين يفكرون ويعملون بطريقة مختلفة تماماً ، فمثلاً :

إن الإسلام يرفض لأتباعه أن يكونوا ذيولاً وإمعات ، أو قردة مقلدين ، بل يأمرهم بالنهوض وعدم الرضوخ ، ويقوى هممهم ويفجر طاقاتهم ، حتى تكون لهم شخصيتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم المستمدة من دينهم .

إن الإسلام يرفض لأتباعه أن يكونوا ضعفاء أو أذلة ، ويريدهم ويحثهم أن يعيشوا كراماً أعزة .

إن الدين الإسلامي يرفض لأتباعه أن تمضم حقوقهم ، أو أن يتنازلوا عن مقدساتهم ، أو تنهب ثروات بلادهم .

إن الإسلام لا يرضى لأتباعه أن يعيشوا على هامش الحياة يكتفون فيها بالفرجة والمشاهدة ، أو الاستهلاك والاستمتاع ، ولا يرضى لهم بأقل من القيادة والريادة .

إن الإسلام يرفض كل صور الهزيمة التي يعيش فيها المسلمون اليوم ، سواء كانت عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو نفسية .

بالإضافة إلى أن انحراف الغرب اليوم وشذوذه ، والمجون الذى وصل إليه من القمة إلى القاعدة ، يجعل مسن طبيعته كراهية كل المبادئ النظيفة والقيم السامية التي يدعو إليها الإسلام ، على طريقة إخوانهم ﴿ أَخْوِجُوهُمْ مِسْنُ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهّرُونَ ﴾ [الاعراف: ٨٦] ، ﴿ لَنَخْوِجَنُكَ يَا شُعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلِّتِنَا ﴾ [الاعراف: ٨١] إن مبادئ الإسلام واستقامته وعدله ونظافته لا يجتمعان أبداً مع شذوذ وطغيان الغرب .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والغرب يعلم كل ذلك ويعلنه ولا يخفيه ، إذاً لابد من المقاومة ، ولابـــد من الحرب على الإسلام حتى تستمر سيطرة الغرب .

هذا يزال الإشكال فى رؤوس كثير، ممن ينتسب إلى الإسلام ، الذين يرون حرباً شعواء تستخدم فيها كل أنواع الأسلحة لسحق الإسلام والمسلمين، ومع ذلك فهم يعتقدون – لأنه قد لبس عليهم – أن هذه الحرب لا مــــبرر ، ولا داعى لها على الإطلاق .



الفصل الخامس المبشرات ونهاية إسرائيل



المبشرات ونهاية إسرائيل

مر الإسلام والمسلمون في بعض الأوقات بفترات حرجة وعصيبة، وكان الإسلام دائماً يخرج منها منتصراً قوياً ؛ لأنه كما قال رسولنا ﷺ: " إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه " .

تعرض المسلمون في مكة – وهم قلة مستضعفة – لصنوف من العــذاب والاضهطاد فوق طاقة البشر ، ويأتى خباب بن الأرت – الله – بعد أن لقى من المشركين شدة فيقول للرسول الله وقد استبطأ نصر الله وهم المؤمنون به ، فيقول : يا رسول الله ، ألا تدعو لنا ألا تستنصر لنا ، وكــان رســول الله متوسداً بردة في ظل الكعبة فيجلس الرسول خاضباً ويقــول : " ألا إن مــن كان قبلكم – أى من الأمم السابقة – يمشطون بأمشاط الحديد وينشرون بالمناشير ما يصدهم ذلك عن دينهم ، والذي نفس محمد بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والــذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون " .

و يخرج سراقة بن مالك وراء رسول الله ﷺ وصاحبه وهما مهاجران ، يريد أن يفوز بجائزة قريش لمن يأتي برسول الله حياً أو ميتاً .

وبعد أن يلحق سراقة برسول الله وصاحبه وتغوص قوائم فرسه في الرمال ويعلم سراقة ويتأكد أن رسول الله ممنوع، ولن يقدر على الوصول إليه، فيطلب الأمان على أن يرد المشركين عن طريقه.

ثم يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو المطارد المهاجر قائلاً: "كيف بك با سراقة وقد ألبسك الله سواري كسرى ؟ " فيقول سراقة متعجباً : سهاري كسرى بن هرمز ؟! فيقول له رسول الله : " نعم سوارى كســرى بــن هرمز "، فيقول سراقة : فوقع في نفسي أن ذلك واقع .

ويعرض رسول الله الإسلام على عدى بن حاتم ، فيقول لــه: " لعلــك ياعدى إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما تراه من حاجــة المسلمين وفقرهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه .

ولعلك ياعدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من قلة المسلمين وكثرة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف أحداً إلا الله .

ولعلك ياعدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين أنك تـــري الملـــك والسلطان في غير المسلمين ، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليسهم ، وأن كنسوز كسرى بسن هرمسز قسد 1 7 1

صارت إليهم " فيقول عدى (متعجباً) : كنوز كسرى بن هرمز ! ، فيقول رسول الله ﷺ :" نعم كنوز كسرى بن هرمز " .

يقول عدى : ولقد عشت حتى رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تبلغ هذا البيت ، وكنت فيمن فتح كنوز كسرى وأنفقت في سبيل الله،وأحلف بالله لتكونن الثالثة أخبرني بذلك رسول الله ﷺ .

ويشاء الله أن تكون الثالثة في عهد عمر بن عبد العزيز ، حيث فاض المال في عهده حتى أن مناديه ينادى على من يأخذ أموال الزكاة من فقراء المسلمين فلم يجد أحداً ، وصدق رسول الله وبر عدى بقسمه .

وللإنسان أن يتمثل الموقف مع خباب وسراقة وعدى ، فهذا مستحيل عقياس البشر،ولكنه يتحقق في دنيا الناس وفي واقع الحياة ويعيش خباب حتى يرى الراكب يسير من صنعاء إلى حضر موت لا يخشي إلا الله ، ويعيش سراقة حتى تفتح بلاد كسرى ويلبسه عمر بن الخطاب على سرورى كسرى،ويعيش عدي حتى يرى كنوز كسرى تنفق في سبيل الله ، ويسرى المرأة تخرج من القادسية ليست في حوار أحد إلا الله تطوف بالبيت لا يتعرض لها أحد،ويقسم هلي أن الثالثة ستتحقق ولابد ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أحبر كها .

ولقد تعرض الإسلام في عصرنا لهزات ومؤامرات أفقدت كثيراً من الناس الثقة به ، حتى أن البعض نادى أنه لكي يعيش الإسلام فلابد أن يلحق بأحد

الأيديولوجيات الكبرى ، فإما أن يكون إسلاماً رأسمالياً أو إسلاماً ماركسياً أما الإسلام فقط فليس هذا عصره وليس هذا أوانه !! .

ولقد مر بنا كيف كان حال الإسلام والمسلمين في بداية هذا القرن حتى أظهر أعداء الله تفاؤلهم بأن هذه الأمة ستلفظ أنفاسها عما قريب .

ولكن المؤمنين الصادقين الذين ينظرون بنور الله يخرجون من هذه الظلمة القاتلة وهذا الحصار الحديدى الرهيب وهم واثقون بنصر الله وأن الباطــــل في زهوه وانتفاشه عما قريب سيزول .

ويكتب شهيد الإسلام (سيد قطب) كتاباً سماه : (المستقبل لهذا الدين) في وقت كانت الماركسية في عنفوالها وأعداء الله لهم السيطرة الكاملة حيى اعتقدوا أن الأمر قد استقر .

ولا يمضى وقت طويل حتى تنهار الأيديولوجيات وتبرز الصحوة الإسلامية في كل مكان كبديل لكل الجاهليات التي سادت بلاد المسلمين .

إن رسول الله الذى بشر خباباً وأثلج صدره ، وبشر سراقة بـــن مالـــك وثبت قلبه، وبشر عدي بن حاتم فأقبل على الإسلام بعد أن عزم أمره .

إن رسول الله الذى بشر هؤلاء ليبشرنا نحن ونحن في القـــرن العشـــرين ولازال الباطل منتفشاً ، ولازالت الصحوة وشباب الإسلام مطاردا ولازالت بلاد المسلمين في معظمها تحت السيطرة الفكرية لأعداء الله .

أقول: إن رسول الله يبشرنا بعودة الإسلام والفتوح حتى يغلب الإسلام كل ماعداه وحتى يعود قوياً وإن رغمت أنوف أهل الباطل: ولا نقول لهـم الله الشاعر:

يا ناطح الجبل الأشم أملاً في تصدعه

أشفق على الرأس لاتشفق على الجبل

يا دعوة الحق قصى ما لقيت

فكم يؤذى الهدى ويعان الباطل البورُ

وكم زعيم غدى نحوي لينطحني

فعاد من صخرتي والقرن مكسور

* * *

وإليك أخا الإسلام – بعض المبشرات من سنة الرسول ﷺ :

الحديث الأول:

عن أبي قتيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص وقد سئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية (روما) ، فدعا عبد الله بصندوق للمحلق فأخرج منه كتاباً قال: (فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله وكتب إذ سئل رسول الله أى المدينتين يفتح أولاً قسطنطينية أم روميه فقال على " مدينه هرقل أولاً " يعني قسطنطينية).

أخرجه أحمد والدارمي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قال. (السلسلة الصحيحة للألياني).

هذا الحديث الصحيح بشرى للمسلمين فى عصرنا بعودة الإسلام ، وهو معلم من معالم النبوة ، فقد قاله الرسول ري وبين المسلمين وبين تحقيق ذلك أهوال ... وأهوال ... وتقف بين تحقيق ذلك إمبراطوريات ضخمة قوية .

لقد كانت القسطنطينية عاصمة وقبلة المسيحية وبها كنيستهم العظمى ، وهى تقع فى موقع فريد بين أهم قارات العالم (آسيا ، وأوروبا) ، وهسى محصنة تحصيناً قوياً ويقف البحر مانعاً وحصناً لها ، ولقد حاول المسلمون فتحها مرات عديدة تحقيقاً لنبوءة الرسول الكريم ولكنهم فشلوا فى زمسن معاوية وبعده ، وكانت هذه المدينة العظيمة على موعد مع قائد من قواد الترك المسلمين ليحقق نبوءة رسول الله على ، وتفتح المدينة أبواكها للقائد المسلم ونداء الله أكبر يملأ الآفاق ، ودموع الجنود تجرى مستبشرة بالفتح وفرحة بنصر الله .

إن فتح القسطنطينية بعد أكثر من ٨٠٠ سنة من قول الرسول صلي تلخ بفتحها ، إيذاناً بتحقيق الشطر الثاني من النبوءة النبوية وهو فتح روما التي هي عاصمة إيطاليا اليوم وفيها مقر البابوية التي نقلت إليها بعد فتح القسطنطينية .

ولقد يظن بعض ضعاف الإيمان أو المشككين وأهل النفاق أن هذا درب من دروب المستحيل ، فأوروبا كلها تحميها ومن ورائها أمريكا ، ومن

يستطيع اليوم أن يهزم هذه القوى الجبارة التى تملك أسلحة تستطيع أن تفيى الما لم كله وليس المسلمون فقط ، ونحن نقول : إن الشطر الأول من الحديث (وهو فتح القسطنطينية) كان بالمقاييس المادية الموجدودة في عصر المنبوة أكثر استحالة مما هو موجود ومتوفر اليوم ، ولا ينقص المسلمون مما كان موجوداً إلا العودة الصادقة الصحيحة للإسلام والتمسك الصحيح بعقيدته ومنهجه للحياة ، وساعتها ستركع أوروبا على أقدامها أمام حضارة الإسلام كما فعلت أول مرة .

ثم إن الفتح الثانى لا يشترط فيه أن يكون بالوسيلة التقليدية وهى الغيزو العسكرى ، ولكن من الممكن أن يكون له أسباب أخرى كيان تنكشف الحقيقة لآباء الكنيسة فيدخلون فى الإسلام كما حدث لملك الحبشة في عهد رسول الله على ، ولقد هم ملك الروم بالإسلام لولا الخوف على ملك وسلطانه ، وقد يكثر دخول أهلها فى الإسلام حيى يكون لهم الغلبة والسلطان، كما يحدث الآن فى كثير من بلدان أوروبا ، وقد تنهار حضارتمم وتتفسخ بفعل عوامل الانحراف المتفشية فيهم فتسقط بدون قتال ، إلى غير ذلك من الأسباب ، وما يعلم حنود ربك إلا هو .

وعلى أى حال فإن تحقق الفتح الثاني يستدعى عودة الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة ، وهذا ما يبشرنا به رسول الله ﷺ .

الحديث الثاني:

قال رسول الله ﷺ: "إن الله زوى (أى جمع وضم) لي الأرض فرأيـــت مشارقها ومغارها وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لي منها " .

رواه مسلم وأبو داود والترمذى وصححه وأحمد وابن ماجه .

وفي الحديث بشارة بأن الإسلام وملكه سوف يبلغ المشرق والمغرب وهي أقطار الأرض (١) .

الحديث الثالث:

قال رسول الله ﷺ: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، لا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز به الإسلام وذلا يُذل به الكفر " .

(رواه ابن ماجه وجماعة وصححه الألباني) .

ولاشك أن تحقيق هذا الانتشار للإسلام في الحواضر والبوادى التي بلغها الليل والنهار ، بل دخوله كل بيت بعز المسلم وذل الكافر .

إن هذا الانتشار وهذه العزة والكرامة للإسلام والمسلمين لهي بشارة من الرسول ﷺ بعودة الإسلام قوياً غالباً على كل قوى الكفر والطغيان .

⁽١) السلسلة الصحيحة للألباني .

ورغم الانتشار السريع والكبير للإسلام إلا أن هذه البشارة لم تتحقق كاملة بعد .

الحديث الرابع:

يقول رسول الله ﷺ: "تكون النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا أراد أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً (وراثياً) فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً (أى حكما ديكتاتوريا) ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافه على منهاج النبوة " ثم سكت. (صححه الألباني) .

هذا الحديث الجليل العظيم الذي هو معلم آخر من معالم النبوة لرسولنا الكريم الذي ما قال إلا صدقاً ، وما أخبر إلا بالحقيقة لأنه ﴿ مَا يَنْطِقُ عَسنِ الْهَوَى • إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النحم: ٣ ، ٤] .

لو تأملنا هذا الحديث لوجدنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد قسم التاريخ الذى يأتى بعده إلى خمسة أقسام عاصر رسول الله ﷺ منها واحسدة فقط وهى مرحلة النبوة وأخبر عن المراحل الأخرى:

الموحلة الأولى: وهى مرحلة النبوة وتبدأ من بعثة الرسول الكريم حــــــى وفاته صلى الله عليه وسلم، وهى مرحلة قائمة بذاتما لها خصائصها ومميزاتما، وهنا نرى أن رسول الله يخبر عن واقع رآه وعايشه.

المرحلة الثانية: وهى مرحلة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ، وتبدأ هذه الخلافة بولاية أبي بكر هي التي استمرت ما يقرب من سنتين ، ثم ولاية عمر بن الخطاب هي والتي استمرت ما يقرب من عشر سنوات ثم بايع المسلمون عثمان بن عفان هي واستمرت خلافته ما يقرب من اثني عشرة سنة ، ثم جاءت مرحلة على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - والتي استمرت ما يقرب من ست سنوات ، وعندما قتل بايع المسلمون ابنه الحسن فاستمر الأمر على ذلك ستة أشهر حتى تنازل لمعاوية عن الخلافة ، وهو العام الذي سمى بعام الجماعة لتوحد المسلمين فيه تحت راية خليفة واحد . وهنا تنتهى مرحلة الخلافة الراشدة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد : " الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً " أو كما قال هيها رواه أحمد : " الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً " أو كما قال هيها رواه أحمد : " الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً " أو كما قال هيها رواه أحمد : " الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً " أو كما قال هيها رواه أحمد : " الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً " أو كما قال هيها رواه أحمد : " الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً " أو كما قال هيها رواه أحمد : " الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً " أو كما قال هيها رواه أحمد : " الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً " أو كما قال هيها رواه أحمد : " الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً " أو كما قال هيها رواه أحمد : " الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً " أو كما قال هيه بي المناه بي من سنة به شم تكون ملكاً " أو كما قال هيه بي من سنة به شم تكون ملكاً " أو كما قال هيه بي من سنة بي من سنة

وعندما نجمع سنوات الخلفاء الراشدين نجد مدتما الثلاثين سنة كما أخبر رسول الله ﷺ .

ثم تبدأ المرحملة الثالثة: وهى الملك العضوض (أى الملك السورائي) ، وتبدأ بحكم معاوية فله الذى جعل الخلافة من بعده فى ابنه يزيد ، فبدأ بذلك الحكم الوراثى أو (الملك العضوض) ، وهى بداية الدولة الأموية والتي ظل خلفاء بنى أمية يتوارثونها ما يزيد عن سبعين عاماً ، حتى انتزع الحكم منهم العباسيون فتداولوا الحكم بينهم أيضاً وأصبح هو الآخر ملكا عضوضا يتوارثه بنو العباس .

ثم جاءت الدولة العثمانية التركية والتي كانت تعتبر امتداداً لمرحلة الملك العضوض ، حيث كان آل عثمان يتوارثون الحكم فيما بينهم كبنى أمية وبنى العباس ، فبقيت ما يقرب من أربعمائة سنة ، وحدت خلالها الدول الإسلامية تحت رايتهم ، وكانت في بدايتها دولة فتية قوية فتحت في عهدها القسطنطينية تحقيقاً لنبوءة الرسول الكريم كما مر بنا ، إلى أن تآمرت عليها الدول الغربية الكبرى واقتسمت أملاكها واحتلت غالب بسلاد المسلمين ، وإلى هنا وتبدأ مرحلة الحكم الجبرى (الديكتاتورى) في معظم بسلاد المسلمين . والتي لا يزالون يعيشولها إلى الآن تحت مسميات مختلفة .

وهى المرحلة الوابعة: والتى بدأت بالاستعمار الغربي لبلاد المسلمين ولا يختلف أحد أنه كان حكماً جبرياً ، إلى أن اضطروا للخروج تحت ضربات المقاومة والتى كان يقودها العلماء المخلصون ومن ورائهم الجموع المؤمنة ، ولما تيقنوا ألهم لن يستطيعوا الاستمرار في المقاومة وتحمل الحسائر الفادحة نتيجة المقاومة ضدهم ، كان من مكرهم أن يخرجوا ويسلموا السبلاد للعلمانيين ولمن تربوا في حجرهم وتحت وصايتهم والمؤمنين بأفكارهم ومبادئهم ، ولذلك نلاحظ أن الاستعمار لم يخرج من بلاد المسلمين إلا بعد أن تأكد تماماً أن جميع أقطارها أصبحت في يد العلمانيين ، وضمنوا بلكك نتيجتين : الاستمرار في تنحية الشريعة ، وضرب الحركات الإسلامية، وكان ذلك امتداداً للحكم الجبرى .

ثم تكون الموحلة الخامسة بعد الحكم الجبرى : التى أخبر بها رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى ، وفي الحديث بشارة بعودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة بعد الحكم الجبرى ، ولعل بروز الصحوة الإسلامية في طول بلاد المسلمين وعرضها حتى وصلت إلى قلب أوروبا وأمريكا لهو دليل على قرب تحقق هذه النبوءة ، وإن غداً لناظره قريب .

الحديث الخامس:

يقول رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وحتى يقــول الشجر والحجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى ورائي تعال فاقتله) (رواه مسلم)) .

إن حديث قتال اليهود في آخر الزمان علامة أخرى من علامات النبوة فبعد انتهاء أمر اليهود في المدينة ورحيلهم إلى بلاد الشام لم تقم لهم قائمة حتى القرن الثالث عشر الهجرى حين بدؤوا يتجمعون ويخططون لإنشاء وطن لهم ، وحين استغلوا ضعف المسلمين وتفتتهم إلى دويلات واستعمار بلادهم ، هنا رفعوا رؤوسهم وحاولوا مع السلطان عبد الحميد أن يعطيهم فلسطين وأغروه بالذهب والفضة ، ولكن التاريخ يقول: إن الرجل رفض وأبى ؟ لأن فلسطين ملك لكل المسلمين وليست ملكاً خاصاً به يتصرف فيه حيث يشاء، من هنا بدأت المؤامرات على دولة الخلافة من اليهود تساندهم الصليبية العالمية حتى بحموا في تفتيت دولة الخلافة وإقامة جمهورية علمانية على يد رجل من يهود الدونمة الذين أسلموا ظاهراً للكيد للإسلام والمسلمين .

* *

والتاريخ بعد ذلك معروف والمأساة مشهورة حتى قامت لليهود دولة .

إن فضل الله على هذه الأمة أن يجعل نماية اليهود ونماية شرهم علسى أيديهم ليتنفس العالم الصعداء ، ولتعود الشعوب تفكر في جو صحى بعيداً عن إغواء اليهود.

إن معركتنا مع اليهود معركة مصيرية ، نكون أو لا نكون ، إنها ليست مسألة وطن إنها أكبر من ذلك بكثير .

إن أكثر من ألف وأربعمائة سنة لم تنسهم خيبر ، ولذلك عندما احتلــوا القدس سنة ١٩٦٧م هتف الجنود اليهود :

هذا يوم بيوم خيبر ، يالثارات خيبر .

وأخذوا يهتفون :

حط المشمش على التفاح دين محمد وألى وراح

وتعالت صيحاتهم : محمد مات ، خلف بنات .

والذين يبعدون الإسلام عن المعركة على أساس أنما ليست حرباً دينية عقائدية وأنما معركة من أجل وطن لهم إما مغفلون ، أو عمـــلاء وخونـــة لأمتهم .

فهم يخونون الأمة ويعطلون تجمع القوى لمعركة مصيرية فرضت علينا فرضاً . ومثلهم كمثل الطبيب الذى يخون المريض الذى يعالجه ، وبدلاً من أن يشخص مرضه الخطير لكي يتأهب لعلاجه ويستعد نفسياً لمقاومته ، يقول له: إن مرضك بسيط ويكفيك جرعة إسبرين لتعود إلى حالتك الطبيعية ، فيصدق المريض ويستكين رغم ما يعانيه وما يحس بداخله من ألم ، حتى يقضى عليه المرض .

إذا أردنا أن ننتصر على اليهود في المعركة فلا بد أن يعرف العرب والمسلمون حقيقة المعركة مع اليهود بلا غش ولا خداع ليستعدوا لها ، ولتتجمع الطاقات ، ولتنهض الهمم ، وليأخذ كل واحد منهم حذره ، إنها حرب مقدسة ، ولن تكون غير ذلك في يوم من الأيام إلا عند المخدوعين والمغفلين .

وهنا نتذكر كلمة قالها رئيس وزراء مصر الأسبق مصطفي خليك - في ندوة عقدت في إسرائيل ، وشارك فيها بطرس غالي عندما طمأن اليهود إلي ألهم في مصر يبعدون الدين أى الإسلام عن المعركة وعن القيادة السياسية يقول:

((أود أن أطمئنكم أننا في مصر نفرق بين الدين والقومية ، ولا نقبل أبداً أن تكون قيادتنا السياسية مرتكزة إلى معتقداتنا الدينية)) .

وما إن أنمى كلمته حتى وقف البروفسور دافيد يرد عليه قائلاً :

((إنكم أيها المصريون أحرار في أن تفصلوا بين الدين والسياسة ، ولكنى أحب أن أقول لكم : إننا في إسرائيل نرفض أن نقول إن اليهودية بحرد دين فقط ، بل إننا نؤكد لكم أن اليهودية هي دين وشعب ووطن)) (١) .

إن اليهود يدخلون معاركهم مع العرب وفي يمينهم التوراة المحرفسة، وفي اعتقادهم أن دينهم ليس دينا فقط ، وإنما هو دين وشعب ووطن ، ويحاولون أن تسير أمورهم وشؤونهم الحياتية على مقتضى حكم التوراة .

أما المسلمون فهم وحدهم الذين يراد لهم أن يتخلوا عن دينهم في مواجهة ذلك ويدخلوا المعركة عزلاً من سلاح العقيدة الفعال .

إن من الغفلة والجهل أن يدخل اليهود المعركـــة وفي أيــــديهم التـــوراة ويدخلها العربي المسلم وليس في يمينه القرآن .

تقول صحيفة يديعوت أحرنوت في ١٨/٣/٨٧٨م:

((إن على وسائل إعلامنا ألا تنسى حقيقة هامسة وهسى حسزء مسن استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب ، هذه الحقيقة هى أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن المعركة مع العرب طوال ثلاثين سنة ، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد ، ولهذا يجسب ألا نغفسل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأى شسكل

⁽١) الإسلام والعلمانية للقرضاوي ٠

وبأي أسلوب ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصـــدقائنا لاســـتعمال العنـــف والبطش لإحماد أية بادرة ليقظه الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا) (١) .

إن في حديث رسول الله على بقتال اليهود في آخر الزمان لبشرى عظيمة بعودة الإسلام وانتصاره على كل قوى البغي والعدوان، رغم المؤامرات لإبعاده عن المعركة وإخراجه من حياة المسلمين بالعلمانية وغيرها من المذاهب الهدامة .

يقول الله تعالى :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ ۗ أَى : أخبرناهـــم في كتبهم المتقدمــة أهـــم سيفسدون في الأرض مرتين ويقترن مع هذا الإفساد العلو الكبير ، فإذا جاء العلو الأول المصحوب بالإفســـاد ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِــي بَــاسِ شـــديد

⁽١) الإسلام في مواجهة العلمانية للقرضاوي .

فَجَاسُوا خِلالَ الدَّيَارِ ﴾ أى: بعثنا عليكم عباداً لنا أولي قوة وعـــدد وعــــدة فملكوا دياركم وبلادكم وذهبوا في وسطها وخلالها دون خـــوف ﴿ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً ﴾ أى: أن هذا واقع لامحالة .

واليهود قد علوا واستكبروا يوم أن كفروا بمحمد الله الذى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقالوا بعد وقعة بدر: لا يغرنك يا محمد أنك قاتلت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحسن الناس.

وهم أفسدوا يوم أن قالوا للمشركين: دينكم أفضل من دين محمد، وذهبوا إليهم يحرضونهم على المسلمين حتى جمعوهم يوم الأحزاب وتحسالفوا معهم ونقضوا عهدهم مع رسول الله ، وحاصروا المدينة مع المشركين ليقضوا على الإسلام والمسلمين بعد أن فشلوا أكثر من مرة في قتل رسول الله .

وهم أفسدوا يوم أن حاولوا قتل رسول الله ﷺ بالسم الذي دسوه في شاة وأهدوها إليه ، ومرة بالرحى التي أرادوا أن يلقوها عليه وهو حالس عندهم .

ولما نقضوا العهد وأفسدوا سلط الله عليهم عباده المؤمنين بقيادة رسول الله ﷺ، فقتلهم وأذلهم وأخرجهم من المدينة ، حتى كان زمان عمر بن الخطاب ﷺ فأخرج بقيتهم من حزيرة العرب بوصية رسول الله: ألا يجتمع في حزيرة العرب دينان .

يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرُّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالَ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكُثُرَ نَفِيراً ﴾ أى : أنكم أيها اليهود تعود لكم الغلبة والنصر ويمددكم ربكم بالأموال والقوة والغلبة وكثرة العدد ، وقد فعل ربنا سبحانه وعسادت لهسم اليوم الغلبة مع العلو والإفساد .

- ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ أي : إذا حساءت الإفسادة الثانية مع العلو والطغيان بعثنا عليكم من يقهركم ويهينكم .
- ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخُلُوهُ أَوَّلَ مَسرَّةٍ ﴾ أي: يدخلوا بيت المقدس كما دخلوه في المرة الأولى في زمن عمر بن الخطاب ﷺ.
 - ﴿ وَلِيْتَبَّرُوا مَا عَلَوْا تَشْبِيراً ﴾ أي : يدمروا ويخربوا ما ظهروا عليه .
- ﴿ عَسَى رَبُكُمْ أَنْ يَوْحَمَكُمْ وَإِنْ عُلِئُمْ عُــدُنَا﴾ أي : عسى ربكم أن يصرف عنكم عدوكم ، وإن عدتم إلى الإفساد عدنا إلى الجزاء الحاضر والسنة الماضية بتسليط عبادنا عليكُم فأبادوكم .

وقد ذكر ابن كثير أن الذى أبادهم وأهلكهم هو بختنصر ، وذكر أنه قتل منهم الآلاف ، وقتل علماءهم حتى لم يبق من يحفظ التوراة ، وأخذ خلقًً كثيراً من أبناء الأنبياء ورمى الجيف والقاذورات في بيت المقدس .

إن الذي حدث لليهود في عهد بختنصر يشبه الذي حدث للمسلمين في عهد التتار لما دمروا المدن والمساجد وخاصة في بغداد ، وقتلوا الخليفة العباسي وقتلوا كثيراً من العلماء ، والتتار لا يقال فيهم : إنهم ﴿عِبَاداً لَنَا ﴾ .

ثم بماذا نسمى حرب رسول الله الله على معهم وقتلهم وإحسراجهم من المدينة ؟ هل ذلك يخرج عن نطاق وعد الله عز وحل القاضى بتسليط عباده عليهم كلما أفسدوا الأرض ؟

وهل ما فعله اليهود في المدينة – والذي ذكرنا بعضه – لا يدخل في دائرة الإفساد التي ذكرها الله تعالى في صدر سورة الإسراء؟

فإذا كان حسرب رسول الله لهسم في المدينة وإخراجهم يدخل في دائرة وإبعثنا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا ﴾ ، وإذا كان ما فعله اليهود في المدينة يدخل في دائرة الإفساد المذكورة في سورة الإسراء ، فبماذا نسمى اليوم ما يفعله اليهود لا في فلسطين وحدها بل في العالم كله من إفساد وخراب وإثارة للحروب وتدمير الأخلاق ؟ هل يخرج ذلك على ما قصه الله تعالى في صدر سورة الإسراء ، أم أن فيه زيادة على جميع إفسادات اليهود السابقة على نزول القرآن والسي جاءت بعده ؟

ولعل اختلاف السلف فى المسلط على اليهود يرجع إلى أن اليهود كانوا في زمنهم أذل الأمم وكانوا يعيشون في ضعف ومسكنة بعد إخراجهم وهزيمتهم من رسول الله ولم يخطر ببال أحد من السلف أن قلة من اليهود سوف تتجمع في فلسطين وتحزم المسلمين مع كثرتهم واتساع بلادهم ، وتحتل المسجد الأقصى ، فالذى حدث من علو وغلبة اليهود مع إفسادهم للعالم كله لم يتصوره أحد ، ولم يكن في حسبانهم .

ولعل هذا هو العذر في القول بأنه بختنصر مما هو بعيد عن روح الـــنص وظاهره .

فإن كلمة ﴿ تَتَفْسِدُنَ ﴾ اللام للمستقبل أى : سسيكون الإفسساد في المستقبل وكذلك ﴿ وَلَتَعْلُنَ ﴾ وعلو اليهود وإفسادهم كان بعد نزول القرآن، فإن سورة الإسراء مكية ، وإفساد اليهود الأول وعلوهم كان في المدينة في عهد رسول الله في فحارهم رسول الله وصحابته وهزموهم وأخرجوهم من الجزيرة بعد ذلك .

كذلك فإن قسوله تعالى عن المسلطين على اليهود ووصفه لهم بألهم ﴿ عِبَاداً لَنا ﴾ هذه الخصوصية لا ينطبق على بختنصر المجوسى الكافر الذى قال عنه ابن كثير أنه قتل الصالحين في القدس الشريف ، إن الله تعالى لا ينسب إلى ذاته المقدسة بختنصر عابد النار فيقول فيه وفي صفته ﴿ عِبَاداً لَنَا ﴾ خاصة أن صدر الآيات يقول تعالى فيها : ﴿ سُبْحَانَ الّذِي ٱسْرَى بِعَبْدهِ لَـــُلاً ﴾ على رسول الله ﷺ .

ويقول تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلُنَا مَعَ لُوحٍ إِلَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ﴾ .

والحديث الذى رواه مسلم في قتال اليهود يقول :

" يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودى ورائى فاقتله " .

كل هذا يدل على أن المسلط على اليهود في المرتين مسلمون عبيد لله .

ثم إن دخول المسجد مرتين في قولة تعالى : ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا وَخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا وَخُلُوهُ أُوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ لم يكن هذا إلا للمسلمين في زمن عمر بن الخطاب ﷺ .

حتى أن الرهبان والأحبار وحدوا صفة عمر وهيئته في كتبهم ، ورفضوا أن يسلموا مفاتيح القدس إلا له .

ثم تكون الثانية عند قتال اليهود فى فلسطين ، يقول ﷺ: "أنستم فى شرق النهر (أى نهر الأردن) وهم فى غربه ". وهم اليوم فى غرب نهر الأردن ونحن فى شرقه ، وصدق الرسول الكريم .

وفي هذا إشارة إلى أن الأقصى لن يحرر بالمفاوضات أو ما يسمى بالسلام وإنما سيحرر بحد السيف .

وما تصلب اليهود وقولهم: إن القدس عاصمتهم الأبدية وأنها غير قابلـــة للتفاوض ما هو إلا استدراج من الله تعالى لهم ، إن تاريخ اليهود مسحل في الكتاب والسنة من بدايته إلى نهايته ، لأن الله تعالى يعلم أن للمسلمين معهم معارك مصيرية حتى يقاتل بقيتهم الدجال الذي أعوانه وجنوده من اليهود .

ولعل حديث رسول الله الله الصحيح بقتالهم في آخر الزمان وكذلك ما قصه الله تعالى في صدر سورة الإسراء وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾ أى: إن عدتم إلى الإفساد عدنا إلى تسليط عبادنا عليكم لبشرى بعودة الإسلام قوياً منتصراً بإذن الله .

وهم اليوم عادوا إلى الإفساد والعلو والطغيان بصورة لم تحدث في التاريخ كله .

وإن وعد الله سوف يتحقق إن شاء الله بفتح القدس مرة أخرى ، ودخول المسجد للمرة الثانية ،وهذه بشارة للمسلمين بأن الإسلام عائد ومنصور إن شاء الله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

* * *

بعد أن انتهينا من كتابة هذا الجزء وقع في يدى العدد ٣٤٦ من حريدة (الوعى الإسلامى) التي تصدر في الكويست بتساريخ جمسادى الآخسرة ٥١٤١هـ بقلم الأستاذ أمين محمد عثمان نقلاً عن تفسير الشسيخ عبسد الكريم الخطيب (التفسير القرآن) ، وقد رأيت إثبات هذا التفسير في هذا الجزء من هذا البحث زيادة في الفائدة والتوضيح لهذه القضية المصيرية ، ولأن أعداء الله من اليهود والعلمانيين وغيرهم يريدون بسث روح اليسأس والقنوط في هذه الأمة حتى ألهم ليروجون لقوة اليهود وأسسلحتهم وعدقم وحيشهم الذي لا يقهر ، وأنه لا فائدة من المقاومة والصمود ، ويحدث ذلك في صحف وبحلات تصدر في بلاد المسلمين وبأموال المسلمين ، ولا يعلمون أن الأمر مسطر في كتاب الله وليس بعد العلو والإفساد إلا الخزى والهسوان .

 بمزقة ... متقاتلة فيما بينها ... تخرج من حكم (البابلين) لتقع تحت حكم الفرس ... في سنة ٨١٥ ق.م ... ثم تحت حكم الرومان ... إلى أن جاء الفتح الإسلامي الذي أدخل (بيت المقدس) في دولته ... فأصبح (المسحد الأقصى) من مساجد الإسلام ... ليس لبني إسرائيل شأن به منذ ذلك الوقت إلى منتصف القرن العشرين ... وإذن فهناك المرة الثانية وهي التي أشار إليها القرآن في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعُدُ الْآخِرةِ لِيَسُوءُوا وُجُومَكُمْ وَلِيدُنُوا الْمَسْجِدَ كَمَا ذَخُلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةً وَلِيَتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَشْبِيراً ﴾ [الإسراء: ٧] . هل جاء وعد الآخرة ... أي المرة الثانية ؟ وإذا لم يكن قد جاء فمستى يجسىء وما الإرهاصات الدالة عليه ؟

والجواب على هذا:

أولاً: أن الوعد - وعد الآخرة - كان إلى نزول القرآن غير واقع ، وأنه سيقع في المستقبل القريب أو البعيد ... والدليل على ذلك ما يحدث به القرآن الكريم ... في هذا المقام .

فقد تحدث القرآن الكريم عن مجيء المرة الأولى هكذا : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولِاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عَبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَسانَ وَعْسداً مَفْعُولاً ﴾ [الإسسراء : ٥] وتحدث عن مجيء المرة الثانية هكذا : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخُلُوهُ أُوّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَسواً تَثْبِيراً ﴾ [الإسراء : ٧] .

فالآيتان تتحدثان عن المستقبل الذى يدل عليه الشرط (إذا)، وهذا يعنى أن المرتين سواء فى تعليقهما بالمستقبل وقت نزول القرآن ... الأمــر الـــذى يجعل القول بأن إحداهما قد وقعت والأخرى لم تقع قولاً لا حجة عليــه ولا مبرر له .

ولكن الذى ينظر فى الآيتين يجد أن الشرط الذى يعلق الفعلين بالمستقبل هو منظور فيه إلى ما قضاه الله فى كتابه ... وجعله قدراً مقدوراً على بسنى إسرائيل فى وقوع هاتين المرتين من الإفساد ، وعلى هسذا يكون وقوع الأحداث المسطورة فى كتاب الله كلها لم تكن وقعت حين قضى الله كما وأودعها حزائن علمه .

وعند النظر فى الآيتين الكريمتين نجد أن النظم القرآني قدد خدالف بينهما ، فجعل مدا وقد منهما قبل نزول القرآن معبراً عند بلفظ الماضى : (بَعَثْناً) ... (وجَاسُسُوا) ، على حين جعل المدرة التي لم تقع بلفظ المستقبل : (ليَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) ... (ولِيَذْخُلُوا الْمَسْجِدَ) ... (ولِيَتُبُرُوا) ...

ولو تساوت المرتان فى الوقوع أو عدم الوقوع عند نزول القرآن لم يكن لا لا تتلاف النظم فيها سبب ظاهر ... وهذا أبعد ما يكون عن بلاغة القرآن وإعجازه ... حيث لا تجىء كلمة أو حرف فيه ... إلا ومعها ما لا حصر له من أسرار .

ثانياً: إذا تقرر أن المرة الثانية لم تجئ حتى نزول القرآن الكريم فهل وقعت بعد هذا ... أم أنها لا تزال معلقة بالمستقبل لم تقع بعد ؟

والقرآن الكريم هــو دليلنا في الإجابة على هذا السؤال ... ففي قولــه تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُــوهُ أُوّلَ مَرَّةٍ وَلَيْنَجُّرُوا مَا عَلَوْا تَشْهِراً ﴾ .

في هـذه الآية نجل حليثاً عن (المسجد) ... والمسجد _ كما هـو معروف _ معلم من معالم الإسلام ... وسمة من سمات بيوت الله التي يتعبد فيها المسلمون ... إذ كان السجود أبرز عمل من أعمال المسلمين في الصلاة ... ولهذا فإن الاسم الذي يعرف به (المسجد الأقصى) هو (بيت المقلس) حتى إذا أسرى الله بنبيه (محمد) المسجد السبحانه (المسجد الأقصى) وجعله هذا الاسم (القبلة الأولى) للمسلمين ... كما جعله هذه التسمية مسجداً لهم يعبدون الله فيه ثم كان الوصف الذي يعرف به المسلمون في المختمع الإنساني هو سمة السجود في وجوههم : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثُو السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُورَاةِ ﴾ [النتج: ٢٩].

فذكر (بيت المقلس) باسم (المسجد) يشير إشارة واضحة إلى أن المرة الثانية التي يقع فيها مسن بني إسرائيل هذا الإفساد إنما تكون في العهد الإسلامي ... وفي الوقت الذي يكون فيه (بيت المقدس) مسجداً للمسلمين على خلاف ما كان عليه من قبل ... حيث لم تشر الآية الأولى إلى (المسجد) من بعيد أو قريب ... بل جاءت الآية هكذا : ﴿ فَجَاسُوا خِلالَ الدّيّارِ ﴾ أي : تنقلوا كما يشاؤون بين الديار ... وهذا يعني أن العدو الذي ابتلاهم الله به ... كان متمكناً بحيث يمشى في ديارهم ويتخلل طرقاقم دون أن يخشى أحداً .

ونسأل مرة أخرى : هل وقعت المرة الثانية ؟ وهل جاء وعد الآخرة قبل يومنا هذا ؟ والجواب هنا نأخذه أيضاً من القرآن ومن أحداث التاريخ .

وننظر مرة أخرى في الآية : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْسَآخِرَةِ لِيَسُسُوءُوا وُجُسُوهَكُمْ وَلِيَنْجُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَنْبُرُوا مَا عَلَوْا تَشْبِيراً ﴾ . فهناك حقائق تقدرها الآية الكريمة ... وهي : أن الذين يتسلطون على بني إسرائيل في هذه المرة سيدخلون (المسجد الأقصى) كما دخلوه أول مرة ... وهذا يعين أموراً :

أ – أن الذين يدخلون المسجد الأقصى كما دخلوا أول مرة ... قد كان لهم دخول من قبل ... وأنهم إنما يفعلون فى هذه المرة مـــا فعلـــوه فى المــرة السابقة.

ب - ودخول المسلمين المسجد الأقصى أول مرة كان في خلافة (عمر ابن الخطاب) عليه ، وقد ظل في أيديهم إلى أن دخله بنو إسرائيل في العصر الحالي ... نعم : خرج المسجد الأقصى من يد المسلمين إلى يد الصليبيين ثم أعيد مرة أخرى على يد (صلاح الدين الأيوبي) و لم يكن لبني إسرائيل حساب أو تقدير في ذلك الأمر .

حــ - ودخول المسلمين إلى (المسجد الأقصى) وانتزاعه مــن أيــدى الصليبيين ليس له شأن بالدخول الذى سيدخله المسلمون ... بعد أن ينتزعوا هذا المسجد من يد (بنى إسرائيل) ... لأن بنى إسرائيل لم يدخلوا المســجد و لم يستولوا عليه منذ الفتح الإسلامى حتى وقع فى أيديهم هذه الأيام .

د - فهذه إرهاصة من إرهاصات المرة الثانية أو (وعد الآخــرة) ... وهى أن يكون (المسجد الأقصى) في يد بنى إسرائيل ... ثم يجيء إليهم من يخرجهم منه ، وينتزعه من أيديهم ... وهم أولئك الذين كان (المســجد) مسجدهم (الذين دخلوه أول مرة) وليس المسجد إلا مسجد المسلمين ... وليس الذي يدخله للمرة الثانية ، وينتزعه من اليهود إلا المسلمين ...

هـ - الإرهاصة الثانية : هي حالـة اليهود أنفسهم ... وهي أن يكونوا على الصفة التي وصفهم الله بها ... حين يفسـدون في الأرض .. ويعلـون علـواً كبيراً ... وحين يدخل عليهم أصحاب المسجد ... كما دخلوا أول مرة ... ليسوؤوا وجـوههم أى يلبسوهم الخزى والسوء ... وقد اختصت الوجوه بهذا ... لألها الصفحة التي ترتسم عليها أحوال الإنسان كلها ... وما يمسه من خير أو شر .

إن الذي ينظر في واقع بني إسرائيل اليوم يجد :

أولاً: ألهم من عهد (سليمان) عليه السلام لم تقم لهم دولة ... بعد الدولة التي خربها (بختنصر) ملك (بابل) حتى قامت لهم دولة في هذه الأيام هي المعروفة باسم (إسرائيل) والتي تدعمها وتساندها قوى كثيرة من قوى البغى والعدوان التي تكيد للإسلام وتتربص به .

ثانياً: أن هذه الدولة التي أقامها بنو إسرائيل هذه الأيام ... دولة ولدت من أحشاء الظلام ... تحمل كل ما عرفت الإنسانية من أدوات الشر ... والبغى والعدوان ... فقد ملكت بكيدها ومكرها كثيراً من الوسائل الخبيشة

التى مكنتها من تلك القوة ... وأقامت كما هذه الدولة ... فالمال إنمـــا هـــو عصارات تلك الدماء التى امتصها اليهود من الأمم والشعوب في شتى أقطار الأرض بما أشعلوا من حروب ... وبما اشتروا من ضمائر وذمم!

إلى أن يقول :

بقى هنا أمران نود أن نشير إليهما في إيجاز :

الأمر الأول: فهو أن هذه الدولة قامت تحت اسم (إسرائيل) ولم تقـــم تحت اسم (اليهود) أو دولة (يهوذا).

الأمر الذى يجعل من العسير أن تدخل تحت حكم هذه الآية لو أنها اتخذت أى اسم آخر غير هذا الاسم ... وهذا إعجاز من إعجاز القرآن .

الأمر الشانى : فهر ما جاء فى قوله تعالى فى آخر هذه السورة : ﴿ وَلَقَلْهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللّهُ ا

ففى قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ﴾ إشـــارة إلى أمرين :

أولهما: أن سكنى بنى إسرائيل للأرض لن تكون إلا سكنى ذليلة مهينة لا يرتفعون فيها عن الأرض ... ولا يستعلون بآدميتهم عن الدواب التى تدب عليها فهم أبداً لاصقون بهذه الأرض ... يغوصون في طينها ووحلها إلى أذقائهم ... بحثاً عما تعطى الأرض ، أما مارواء هذا من مطالب الروح فلل حظ لهم فيه ولا شغل لهم به .

ثانيهما: أنهم سيشردون في الأرض كلها ... طولها وعرضها ... إذ كل همهم من سكني الأرض هو البحث عن كل مرعى فيها ... فهم يتبعون مواقع المرعى حيث كانت ... وهذا ما تحدث عنه حياة اليهود حيث هم في كل صقع من أصقاع الأرض .

وفى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِنْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ إشارة إلى مــــا حاء فى قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَشْهِيراً ﴾ .

فبنو إسرائيل الذين حاؤوا لوعد الآخرة ، واحتمعوا اليوم في (فلسطين) وأقاموا الدولة الواقعة تحت حكم الله الذي قضى به عليهم ، يوم يجيء ﴿وَعُدُ الْآخِرَةِ ﴾ بنو إسرائيل هؤلاء قد حاؤوا من كل أفق من آفاق الأرض مسوقين إلى حتفهم ... مدعوين إلى قدرهم المقدور في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعُلَدُ اللَّهِ عَنْمَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ أي : جمعناكم من كل جهة ، فاللفيف من الناس :

الجماعة التي تجتمع في الأسواق والأسفار ثم ينفض السوق .. ويتفرق السفر ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يرسف: ٢١] انتهي .

* * *

سئل الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى عن رؤيته الرافضة للواقع في الوقت الذى تقيم فيه - أو بدأت - إسرائيل علاقات مع أغلب الدول العربية ؟

فقال: نعسم وما زلت أرى أملاً كسيراً في الصحوة الإسلاميسة وعندنا بشائر كبيرة في هذا ... وما فيه العدو اليوم هو استثناء ... قال تعالى: ﴿ صُوبَتَ عَلَيْهِمُ الذَّلَةُ أَيْنَ مَا تُقَفُّوا إِلّا بِحَبْلِ مِنَ اللّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النّاسِ وَبَاءُوا بِعَضب مِنَ اللّهِ وَصُوبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾ [آل عسران: ١٠٢] و (إلا) تعسى الاستثناء ، والاستثناء لا يبقى أبد الدهر فهو فترة من الزمن ثم يعود الأصل كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذُنَ رَبُّكَ لَيَبْعَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَدَابِ ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، واليهود يعرفون أن ذلك لن يدوم لهم ، وأن دولتهم زائلة، وقد ناقش بعض العرب وبعض المسلمين (موشيه دايان) في هذا الأمر ، وقالوا: عندنا بشائر بأننا سننتصر عليكم فقال: (ونحسن عندنا أيضاً أشياء بأن هذا لن يدوم لنا ، ولكن ليس هذا الجيل منكم سينتصر علينا ...) (١).

⁽١) بحلة المجتمع العدد ١٢٠٢ – ١٧عرم ١٤١٧هـ .

وحدثنى من أثق به أن شاباً مسلماً من غزة أمسكته الشرطة الإسرائيلية وأثناء التحقيق معه لاحظ الضابط المحقق ثبات الشاب وعدم خوف أو اضطرابه ، فأراد المحقق أن يعرف عن مصدر هذه الثقة والشجاعة ، فسأل المحقق الشاب عن سبب ثقته وعدم خوفه ، فقال الشاب : إن مصدر ثقتي هو أننا واثقون من أننا سنهزمكم وننتصر عليكم ، فقال له المحقق :وما مصدر هذا اليقين ؟

قال الشاب : قول رسولنا ﷺ : " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهـود، وحتى يقول الشحـر والحجر : يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودى ورائـي فاقتله ".

قال المحقق : لستم أنتم المسلمين الذين يتكلم لهم الشحر والحجر .

وكأن المحقق الخبيث عنده علم بالحديث وبمعركة آخــر الزمــان بــين المسلمين واليهود ، ولكنه يعرف كذلك أن صفة (يا مسلم يا عبد الله) لم تتحقق في المسلمين الموحودين ، ولذلك لم يحن ميعاد الملحمة وتكلم الشحر والحجر .

ولقد قرأت لأحد زعماء اليهود قوله : إن دولتنا لن تعيش أكثر من مائة عام .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يرسف: ٢١] . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والله أعلم .



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصف
إهداء	
القدمة	
الفصل الأول: بداية العلمانية	
الفصل الثاني: مفهوم العلمانية -	
الفصل الثالث: سقوط العلمانية	Sales
الفصل الوابع : المؤامرة	
الفصل الخامس: المبشرات ونماية إس	إسرائيل





هذا الكتاب

- * العلمانية: مذهب في الحكم والسياسة والأخلاق ، فهي دين جديد اعتنقته أوروبا بديلاً عن النصرانية يجعل الحياة قسمين: قسم لله ، وهو المتمثل في الشعائر التعبدية في الكنيسة، والقسم الآخر لقيصر يحكم فيه بما يشاء في كل شؤون الحياة بما يراه أو يوافق هواه .
- * ويوضح الكتاب كيف أن العلمانية لم تجد مقاومة في الغرب ، بل رحب بها الناس ، وتسللت إلى حياتهم تسللاً طبعيا ، وكيف أن الناس رأوا فيها انعتاقًا من دين لا يتلاءم مع الفطرة ، وكيف أنها في بلاد المسلمين قد فرضت على الناس بسياسة الحديد والنار من أعلى إلى أسفل .
- * كما وضح أن وجود الإسلام النظيف خطر على القسم الهابطة والمادية الطاغية وحضارة الغرب المستغلة ، مما على قدم وساق لمحاربته في محاولة منهم لجعل شعوب هذه الدول حتى لا يقفوا على الحقيقة الله المتناق الإسلام.
 - ولقد تناول الكتاب النقاط التالية: بداية العلمان
 والمبشرات بسقوطها ، كما لم يفتنا أن تعرض
 باعتبارها محور الشر الخفى الواقف خلف هذا المذ

المؤلف

كان الوفاء للطباعة والنشو والتوزيج ـ ج.م.ع ـ المنصورة

الإطاوة: ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص.ب: ٢٣٠ ت: ٢٧٠٦٠٩٠ و ١٤٠٠ عند ١٤٧٠ م. ١ المحتبة: أمام كلية الطب ٢٢٤٩٥١٧ / ٥٠.

E-Mail:DAR ELWAFA @ HOTMAIL . COM

